شرح كتاب
الجامع من بلوغ المرام

ح محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرعاني، محمد بن أبكر بن عبد الرحيم
شـرح كتاب الجامع من بلوغ المرام للإمام ابن باز رحمه الله /
محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني - الرياض، ١٤٣٨ هـ
٢٧٧ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم
ردمك : ١ - ٥٠٩٨ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١-الحديث - أحكام، أ. العنوان

ديوي ٢٣٧،٢ ١٠٠٢٩ / ١٤٣٨

رقم الإيداع : ١٠٠٢٩ / ١٤٣٨
ردمك: ١-٥٠٩٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

دار الإمام البخاري للنشر والتوزيع

البريد الإلكتروني: aboanass123456@hotmail.com
لطلب الكميات والتوزيع الخيري بسعر مخفض

جـوال: ٠٠٩٦٦٥٤١٣١٠٦٤٦
٠٠٩٦٦٥٦٦٦١٦٠٨٥
٠٠٩٠٥٣٨٠٤٠٢٥٨٢

سلسلة مؤلفات
سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله (١٦)



شرح كتاب الجامع من بلوغ المرام

لسماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله
(١٣٣٠ - ١٤٢٠ هـ)

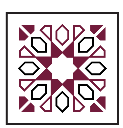
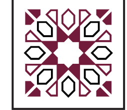
مراجعة وتقريظ
فضيلة الشيخ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

اعتنى به وأشرف على طبعه
محمد بن أبكر بن عبد الرحيم الفرعاني
تلميذ سماحته والباحث المتعاون في مؤسسته

بإشراف
مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم


مقدمة الشيخ
علي بن عبد العزيز الشبل حفظه الله

الحمدُ الله وحده ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه، وبعد: فهذه مأثرةٌ علميةٌ من مآثرِ شيخنا العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن الرحمن (١٣٣٠-١٤٢٠) وتحفةٌ من تُحف دروسه المباركة في شرح آخر كتاب في متن «بلوغ المرام» للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وهو كتاب «الجامع»، فجاءت هذه التقريراتُ والتعليقات مطردةً علىٰ منهجية شيخنا في شروحه التدريسية في المساجد.

والمؤمَّل جمعُ شروح وتقريرات وتصحيحات شيخنا ابن باز علىٰ «**بلوغ المرام في أدلة الأحكام**» كاملة في مجموعةٍ واحدة، يسّر الله ذلك وأعان عليه.

وقد سمت همةُ الأخِ الكريمِ صاحب الفضيلة الشيخ/ محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني إلىٰ إعداد هذا الشَّرح والعناية به، فشكرَ اللهُ له وأثابَه .

وجزىٰ الله سماحةَ الشيخ ابن باز، والحافظ ابن حجر، وعلماء المسلمين خيرًا، ورفع درجاتهم، ورضي عنَّا وعنهم، وأتبعنا بهم في عليين.

إنه سبحانه جوادٌ كريمٌ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

الرياض ضحىٰ ٢٣/ ٤/ ١٤٣٨ هـ

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه مأثرة علمية من مآثر شيخنا العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن (١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ)، وتحفة من تحف دروسه المباركة في شرح آخر كتاب في متن "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر العسقلاني، وهو كتاب "الجامع"، فجاءت هذه التقريرات والتعليقات مطردة على منهجية شيخنا في شروحه التدريسية في المساجد.

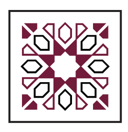
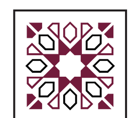
والمؤمل جمع شروح وتقريرات وتصحيحات شيخنا ابن باز على "بلوغ المرام في أدلة الأحكام" كاملة في مجموعة واحدة، يسر الله ذلك وأعان عليه.

وقد سعت همة الأخ الكريم صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد الرحيم القرعاني إلى إعداد هذا الشرح والعناية به، فشكر الله له وأثابه.

وجزى الله سماحة الشيخ ابن باز، والحافظ ابن حجر، وعلماء المسلمين خيرًا، ورفع درجاتهم، ورضي الله عنهم، وألحقنا بهم في عليين، إنه سبحانه جواد كريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه/ علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

الرياض ضحى ٢٣/٤/١٤٣٨هـ


مقدمة مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

الحمد للَّه وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، أما بعد:

◈ فيطيب لـ«**مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب **الجامع** من كتاب: «**بلوغ المرام من أدلة الأحكام**» للحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

◈ وقد درج جمعٌ من أهل العلم علىٰ إفراد هذا الجزء من كتاب « بلوغ المرام» والعناية به، وإخراجه لعامة الناس مستقلًا؛ لما اشتمل عليه هذا الجزء من الجوانب التي ينبغي بثُّها بين عامة المسلمين، فضلًا عن طلاب العلم، وتربية النشء عليها من الأخلاق والآداب الإسلامية العامة: كالبر، والصلة، والزهد، ومكارم الأخلاق، والذكر، والدعاء.

◈ وقد تولّىٰ الاعتناء بهذا الجزء من الكتاب وإعداده للنشر تلميذ سماحته والباحث المتعاون في المؤسسة الشيخ/ محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني، وفقه اللَّه وسدّده، حيث قام بتفريغ المادة الصوتية، ومطابقتها، وضبطها وفق القواعد العلمية المقررة في المؤسسة، إضافة إلىٰ خدمات العزو، والتخريج الموجز، نسأل اللَّه تعالىٰ أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

◈وقد تفضل بمراجعة الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور/ علي بن عبد العزيز الشبل، والشيخ/ فهد بن عثمان بن باز. ضاعف الله لهما الأجر والمثوبة وغيرهما من المشايخ.

◈نسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يبارك في هذا العمل، ويجزل الأجر والمثوبة لكل من أسهم في إخراجه، وأن يجعل هذا الشرح من العلم النافع الذي يجري أجره علىٰ سماحة والدنا الشيخ/ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قبره، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في الفردوس الأعلىٰ مع الأحبة محمد صلىٰ الله عليه وسلم وصحبه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ نبيّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية



مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فيطيب لـ«مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الشرح لسماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز "رحمه الله" على كتاب (**الجامع من كتاب "بلوغ المرام من أدلة الأحكام"**) للحافظ ابن حجر العسقلاني "رحمه الله".

وقد درج جمع من أهل العلم على إفراد هذا الجزء من كتاب (بلوغ المرام) والعناية به وإخراجه لعامة الناس مستقلاً؛ لما اشتمل عليه هذا الجزء من الجوانب التي ينبغي بثها بين عامة المسلمين فضلاً عن طلاب العلم، وتربية النشء عليها من الأخلاق والآداب الإسلامية العامة كالبرّ والصلة والزهد والورع ومكارم الأخلاق والذكر والدعاء.

وقد تولّى الاعتناء بهذا الجزء من الكتاب وإعداده أحد تلاميذ سماحته، وهو الباحث المتعاون في المؤسسة الشيخ / محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني "وفقه الله"، حيث قام بتفريغ المادة الصوتية، ومطابقتها، وضبطها وفق القواعد العلمية المقررة في المؤسسة، إضافة إلى خدمات العزو، والتخريج الموجز، نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

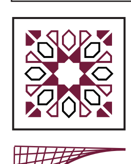
وقد تفضّل بمراجعة الكتاب فضيلة الشيخ الدكتور / علي بن عبدالعزيز الشبل، والشيخ / فهد بن عثمان بن باز، "ضاعف الله لهما الأجر والمثوبة" وغيرهما من المشايخ.

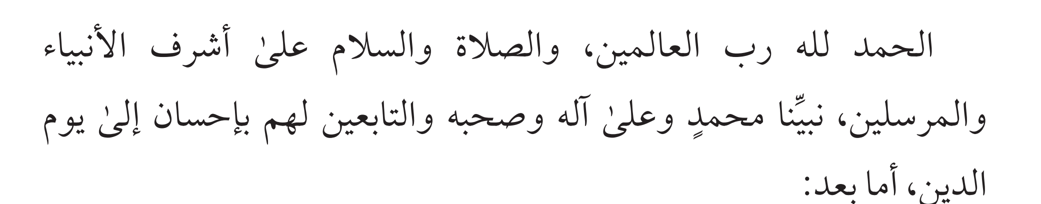
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في هذا العمل ويجزل الأجر والمثوبة لكل من أسهم في إخراجه، وأن يجعل هذا الشرح من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة والدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز "رحمه الله" في قبره، وأن يجمعنا به والقارئ الكريم في الفردوس الأعلى مع الأحبه محمد ﷺ وصحبه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية







بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمةُ المعتني بالكتابِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، أما بعد:

◈ فهذا شرحُ كتاب «**الجامع من بلوغ المرام**»، لسماحة شيخنا الإمام العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان ذلك دروسًا ألقاها سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع الإمام تركي بن عبد الله (الجامع الكبير)، في الرياض عام ١٤٠٧هـ، في درس الفجر بقراءة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي حفظه الله.

وهو شرحٌ نفيسٌ جدًّا، مُلِئ بالدرر والفوائد، والتقريرات العلميَّةِ الدَّقيقة لسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الأحاديث النبوية، والأحكام الفقهية وغيرها.

◈ وأما شرحُ كتابِ «بلوغ المرام» كاملًا لسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سيخرج قريبًا - إن شاء الله - بعناية وتحقيق شيخنا العلامة/ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم حفظه الله.

◈ ولقد أنعمَ المولىٰ جَلَّ وَعَلَا عليَّ أن هيّأ لي شرف الاعتناء بهذا الشَّرحِ العظيم وإعداده بعد أخذ الإذن من مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية،

جزىٰ الله القائمين عليها الجزاء الأوفىٰ.

وكنت ممن أنعم الله عليهم بالتتلمذ علىٰ سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ منذ عام ١٤٠٥هـ إلىٰ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

◈ ولِمَا لكتاب «الجامع» من الأهمية البالغة، لما اشتمل عليه من الدعوة إلىٰ الآداب الإسلامية، والبر والصلة، والزهد والورع، والترهيب من مساوئ الأخلاق، والترغيب في مكارم الأخلاق، والذِّكر والدُّعاء؛ التي حثَّ عليها الشرع المطهر، وضاعف الأجور عليها، وجعلها سببًا لدخول الجنة، لذا أفرد العلماء التأليف في هذه الأبواب الستة وغيرها بمؤلفاتٍ، كتابٍ في الأدب، وآخر في الزهد، وآخر في الدعاء، وآخر في الذكر... إلخ.

وقد جمع الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلَّ هذه الأبواب في كتاب «الجامع»، وهو آخر كتاب في «بلوغ المرام».

فهو جديرٌ بأن يُفرد؛ ليكونَ قريبَ المنال لعموم المسلمين، ويُقرأ في المساجد والمدارس والمجالس.

◈ ولأهمية هذا الشَّرح، وحاجة الأمة إلىٰ إخراجه مطبوعًا - ليعم النفع به، وتكمل الفائدة، ويسهل الرجوع إلىٰ مسائله - قمتُ بتحويل مسموعه إلىٰ مكتوبٍ من الأشرطة السمعية، ومقابلة المكتوب بالمسموع، وتخريج الأحاديث، فما كان من صوابٍ فمن الله وحده، وما كان من نقص أو خطإٍ فمنِّي ومن الشيطان، ورحم الله من وجد خللًا فنبّهني عليه علىٰ البريد الإلكتروني لإصلاحه.

◈ وجزىٰ الله سماحة شيخنا الجزاء الأوفىٰ علىٰ شرحه القيِّم لهذا

الكتاب العظيم، ورحم الله الإمام أحمد بن علي بن حجر علىٰ تأليفه «بلوغ المرام».

◈وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفع بهذا الشرح المبارك كما نفع بأصله، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره لسماحة الشيخ في قبره، وأن يجعله في ميزان حسناته، وميزان حسنات من سجَّله وأخرجه ونشره، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، إنه خير مسئولٍ، وأكرم مأمول.

◈وفي ختامِ هذا التقديم أتقدمُ بالشُّكر الجزيل والعرفان الجميل لسماحة والدنا الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، لإشرافه المباشر علىٰ إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والشُّكر موصولٌ لشيخنا الجليل والعالم النبيل الدكتور/ علي بن عبد العزيز الشبل، والشيخ الفاضل/ فهد بن عثمان بن باز. اللذين بذلا وسعَهما وجهدهما في مراجعة هذا الكتاب، كما تفضل الدكتور/ الشبل بالتقديم له.

ثم الشُّكر موصولٌ لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، ممثلة في أمينها، ومديرها، وكافَّة العاملين في المؤسسة علىٰ إتاحتهم لي هذه الفرصة الثمينة لإخراج هذا الكتاب المفيد النافع.

والشكر موصولٌ أيضًا لشيخنا الجليل/ عبد الله بن محمد المعتاز علىٰ اهتمامه بنشر علم سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتشجيعه علىٰ ذلك.

والشُّكر موصولٌ لجميع المشايخ الذين ساهموا معي في مراجعة الكتاب وإبداء الملاحظات والاستدراكات، والذين بذلوا جهدهم في إخراج هذا

الكتاب القيم.

كما أشكرُ الأخت الكريمة نوال بنت عبد العزيز الجبرين - وفقها الله - وقد تبرعت بتكاليف طباعةِ الملازم وتجهيز الكتاب.

وكما أشْكرُ كل من ساهم في طباعة الكتاب، وتمويله، وأن يجعلها في موازين حسناتهم يوم الدِّين.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن ينفعني به في الحياة وبعد الممات؛ إنه جوادٌ كريمٌ مجيبُ الدعوات.

والحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتم الصالحات.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

كتبه/

محمد بن أبكر بن عبد الرحيم القرعاني

تلميذ سماحته، والباحث المتعاون

في مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

الرياض ٢٨/ ٥/ ١٤٣٨هـ

جوال: ٠٥٤١٣١٠٦٤٦

البريد الإلكتروني: **aboanass123456@hotmail.com**



ترجمة موجزة[1] لمؤلِّف «البلوغ» الحافظ ابن حجر[2]

اسمه ونسبه:

هو شيخُ الإسلام، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علىٰ الكناني العسقلانيّ الأصل، المصري المولد، القاهري الدار، الشهير «بابن حجر»، وهو لقب لبعض آبائه، ولد في شعبان سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة علىٰ شاطئ النيل بمصر القديمة.

نشأته:

نشأ الحافظ ابن حجر يتيم الأبوين، فقد مات أبوه سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وماتت أمه قبل ذلك وهو طفل، وبدت عليه علاماتُ الذكاء والنجابة وقوة الحفظ منذ الصغر، وحبب الله تعالىٰ إليه فنّ الحديث النبوي روايةً ودرايةً، فبرع فيه سندًا ومتنًا، وعللًا، واصطلاحًا وفقهًا، وأخذ عن مشايخ عصره، ورحل في هذا السبيل رحلات كثيرة إلىٰ الحرمين واليمن

(١) ترجمة الحافظ من كتاب «منحة العلام شرح بلوغ المرام» للشيخ عبد الله الفوزان حفظه الله.

(٢) ترجم له كثيرون، بل أُفرد في ترجمته مصنفات مستقلة، ولعل من أجمعها وأولها كتاب السخاوي : «الجوهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» مطبوع في ثلاثة أجزاء، وفيه فوائد كثيرة، وجُلُّها استطرادات، كما نصَّ علىٰ ذلك. انظر: «معجم المؤلفين» (١/ ٢١٠) وفيه كثير من مصادر ترجمته.

والشام وغيرها.

❁ شيوخه وتلاميذه:

للحافظ ابن حجر شيوخ كثيرون جدًّا، جمعهم في مُصَنف، وبلغ مجموعهم ستمائة وثلاثين شيخًا، منهم الحافظ العراقي، والهيثمي، والبلقيني، وابن الملقن، وابن جماعة، وله تلاميذ لا يحصون انتشروا في الأقطار، ومنهم الحافظ البوصيري، والإمام السخاويِّ، وابن فهد المكي.

❁ ثناء العلماء عليه:

وصفه مترجموه بأنه شيخ الإسلام، حافظ المشرق والمغرب، أمير المؤمنين في الحديث، كما وصفوه بكثرة العبادةِ واتِّباع السُّنةِ، وشدة الإنكار للبدع، وحسن الخلق والورع، وشدة التحرِّي في مأكله ومشربه وملبسه، والتواضع والبعد عن التباهي، وحفظ اللسان وسعة الصدر والحلم، وحفظ الوقت والبذل والسخاء.

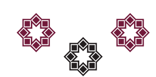
❁ مؤلفاته:

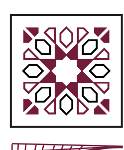
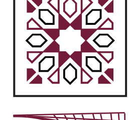
ألف الحافظ مؤلفاتٍ كثيرة في فنون مختلفة، أوصلها بعض الباحثين[١] إلىٰ ما يقرب من ثلاثمائة مؤلَّف، من أشهرها: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، «إتحاف المهرة بأطراف العشرة»، «الإصابة في تمييز الصحابة»، «تهذيب التهذيب» و«تقريبه»، «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، «المطالب العالية في زوائد المسانيد الثمانية»، «التلخيص الحبير».

(١) هو الدكتور: شاكر محمد عبد المنعم في رسالته: «الحافظ ابن حجر ودراسة مصنفاته».

وفاته:

توفي ابن حجر بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف والتدريس والإفتاء، ليلة السبت الثامن عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، إثر مرضٍ دام أكثر من شهرٍ، وكان في بداية مرضه يكتم أمره، ويؤدي واجبه من تدريس وإملاء، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء.




ترجمة موجزة لشارح الكتاب سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١)

❁ اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلاَّمة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده. لقبه المشهور به: ابن باز.

❁ مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية (١٢/ ١٢/ ١٣٣٠هـ) وبها نشأ وشبَّ وشاب وكبر، ولم يخرج منها إلا ناويًّا الحج أو العمرة قاصدًا مكة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف، وجدة.

(١) ينظر ترجمته: في «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» لسماحته(١/ ٩ ـ ١٢) و«الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة (ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز»، رواية الشيخ محمد الموسىٰ إعداد: محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣) و«الإبريزيِّة في التسعين البازية»، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف هجرية [١٣٣٣هـ]، وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته ونشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًا من سماحته.

وكان لوالدته رحمها الله التي توفيت عام [١٣٥٦هـ] دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

۞ حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر؛ فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، علىٰ يد الشيخ عبد الله بن مفيريج، ثم تلقىٰ العلوم الشرعية والعربية، علىٰ يد كوكبة من علماء الدعوة، ذكر منهم سماحته ستة شيوخ، وكان أول شيوخه فيما ذكره د. سليمان أبا الخيل: الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب[(١)]، ومن أبرز وأشهر شيوخه مفتي الديار السعودية سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي أخذ عنه جميع العلوم الشرعية حيث لازمه عشر سنوات من عام (١٣٤٧ ـ ١٣٥٧هـ).

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة، حدود سبعون عامًا، فقد تتلمذ علىٰ يديه خلق كثير، ذكر منهم الشيخ عبد الرحمن

---

(١) ينظر: «منهج الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الدعوة إلىٰ الله»، لـ د. سليمان أبا الخيل (ص٣٧، ٣٨).

ابن يوسف الرحمة في ترجمته لسماحته أكثر من(٤٧٤) طالبًا[1].

وأمّا حياته العملية:

فقد تولىٰ عدة أعمال، منها: القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا من عام (١٣٥٧إلىٰ ١٣٧١ هـ)، ومنها: التدريس بالرياض في المعهد العلمي وكلية الشريعة، من سنة (١٣٧٢ ـ ١٣٨٠ هـ) درَّس الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، ومنها: العمل إداريًّا في التعليم من مطلع عام (١٣٨١ـ ١٣٩٥ هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتىٰ مطلع سنة(١٤١٤ هـ).

وفي (٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ورئيسًا للجنة الدائمة للإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلىٰ أن توفاه الله في يوم (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

وإلىٰ جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة وفي العالم الإسلامي: كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع للرابطة، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة

(١) ينظر: «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» للشيخ عبد الرحمن الرحمة (ص ٨٤ـ ١٢٤).

المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلىٰ للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها من العضويات، وما من منصب تقلَّده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات وأوليات خالدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمّا صفاته الخَلقيّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلىٰ الطول أقرب، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنىٰ الأنف قليلا، خفيف الشارب قليل اللحية علىٰ العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ علىٰ صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الرحمة في ترجمته للشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته[(١)].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه»[(٢)].

---

(١) ينظر: «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» للشيخ عبد الرحمن الرحمة (٣٧، ٤٥ ـ ٦٠) وكتاب «جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز»، للحمد والموسىٰ (٣٩ ـ ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من تقديمه لكتاب فتاوىٰ نور علىٰ الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز(١/ ٤).

❁ مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًّا: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة»، الذي قام بجمعه معالي الدكتور الشيخ محمَّد ابن سعد الشويعر حفظه الله في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)].

كما حُوِّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلىٰ كتاب بعنوان: «فتاوىٰ نور علىٰ الدرب»، وقد طُبع منها حتىٰ إعداد هذه الترجمة (٣١) مجلدًا والتي ستبلغ (٣٥) مجلدًا، وقد تم إكمال العمل فيها بالرئاسة -إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وأصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته علىٰ بعض كتب أهل العلم منها: «شرح التبصير في معالم الدين» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتعليق سماحته علىٰ «مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعليق علىٰ تفسيره لسورة الفاتحة»، وشرح «عمدة الأحكام» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشرح كتاب«الواسطية»، و«الفتوىٰ الحموية» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وشرح كتاب «كشف الشبهات»، وتعليقات علىٰ كتاب «القواعد الأربع»، وكتاب «فضل الإسلام»، وشرح كتاب «التوحيد»، جميع هذه الكتب

---

(١) ذكر سماحته في «مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة» ثلاثة وعشرين مؤلفًا (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم(٢٤ عنونًا) في مقدمة كتاب «التحفة الكريمة»(ص ٢٠- ٢٦) وأفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتيِّبًا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز».

الأربعة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتعليقات سماحته علىٰ كتاب «وظائف رمضان» تلخيص الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم العاصمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من لطائف المعارف لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كما أشرفت المؤسسة علىٰ ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: بتحقيق تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، حاشية في «بلوغ المرام» في مجلدين، و«التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة» و«تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان» و«تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان».

وتعليقات سماحته علىٰ كتاب «تقريب التهذيب» صدر بعنوان: النكت، بتحقيق د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «الفوائد العلمية من الدروس البازية» الذي جمعه الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

وما صدر، بعنوان: «حديث الصباح، وحديث المساء، ودروس وفتاوىٰ المسجد الحرم» من جمع الشيخ صلاح الدين أحمد عثمان، أمين مكتبة سماحته في حياة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقريبًا ستصدر المؤسسة، شرح سماحته لكتاب «الوابل الصيب شرح صحيح الكلم الطيب» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إن شاء الله وغيرها من التعليقات والشروح بعد خدمتها علميًّا.

❁ زوجاته وعقبه ووفاته ورثاؤه:

تزوج رَحِمَهُ ٱللَّهُ أربع نسوة:

أولىٰ زوجاته: تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها.

ثاني زوجاته: تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمن، وثلاث بنات.

وثالث زوجاته: هي ابنة عمِّه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في ترجمته له نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز حفظهم الله جميعًا، وهو رئيس اللجنة العلمية بالمؤسسة.

ورابع زوجاته: تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات.

وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشرور والنِّقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارِّين بوالديهم، آمين، آمين[(١)].

وفاته:

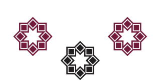
توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلىٰ مكة وغسِّل في بيته، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وحضر الجنازة جمٌّ غفير، قيل أكثر من مليونين، كما صلِّي عليه صلاة الغائب في عموم جوامع المملكة العربية السعودية، وفي عدّة دول إسلامية.

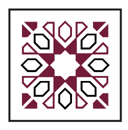
وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة،

(١) ينظر: «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص٣٤، ٣٥) و«الإبريزية في التسعين البازية» للشتوي (ص٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للشيخ عبد العزيز ابن قاسم (ص ٢٣).

وجزاه خيرًا علىٰ أعماله العظيمة التي قام بها لخدمة الإسلام والمسلمين، وجعل الجنة مثواه، إنه قريبٌ مجيبٌ.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.



بَابُ الأَدَبِ

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَه فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

٣ - وَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ البِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[3].

---

(١) رواه مسلم (٢١٦٢) (٥)، والبخاري بلفظ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٧٢)، وأبو داود (٥٠٣٠)، الترمذي (٢٧٣٧)، والنسائي (٤/ ٥٣)، وابن ماجه (١٤٣٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٠) بلفظ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»، ومسلم (٢٩٦٣) (٩)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٨)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤١٤٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢)، ومسلم (٨/ ٦) (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩).

٤ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ(١).

٥ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٦ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّىٰ يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).



يقول المؤلف رَحِمَهُٱللَّهُ: «**كتاب الجامع**».

لمَّا ذكر فيما تقدّم أبوابَ الأحكام من العبادات والمعاملات، وما يلتحق

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٥)، والبخاري (٨/ ٨٠) (٦٢٩٠)، ومسلم (٧/ ١٢) (٢١٨٤)، وأبو داود (٤٨٥١)، والترمذي (٢٨٢٥)، وابن ماجه (٣٧٧٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧)، والبخاري (٨/ ٧٥) (٦٢٧٠)، ومسلم (٧/ ٩) (٢١٧٧)، والترمذي (٢٧٤٩).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٢١)، والبخاري (٧/ ١٠٦) (٥٤٥٦)، ومسلم (٦/ ١١٣) (٢٠٣١)، وأبو داود (٣٨٤٧)، والنسائي (٦٧٤٥)، وابن ماجه (٣٢٦٩).

بذلك من الأوقاف والوصايا والجهاد والنكاح والطلاق وغير ذلك، ختم بهذا الكتاب الجامع، مما يحتاجه المؤمن في آدابه وأخلاقه، وما ينبغي له من حرصٍ علىٰ مكارمِ الأخلاقِ ومحاسن الأعمال، والبعد عن مساوئِ الأخلاق وسفاسفها، وما ينبغي له من حفظ أوقاته بالذكر والدعاء.

◈ وقد أحسن المؤلف في هذه الخاتمة؛ لأن المؤمن في أشد الحاجة إلىٰ هذه الأمور، ولهذا بدأ بالأدب - يعني الأدب الشرعي- الذي ينبغي أن يتحلّىٰ به المؤمن في أقواله وأعماله، وقيامه وقعوده، وسفره وإقامته، وغير ذلك.

◈ والشريعة العظيمة الكاملة الإسلامية جاءت بالدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والتحذير من سفاسف الأخلاق، وسيِّئ الأعمال في جميع الأحوال، في الرجال والنساء والجن والإنس والأغنياء والفقراء والرؤساء والمرؤوسين.

◈ فينبغي للمؤمن أن يتأدب بالآداب التي جاءت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأن يتخلَّق بها، حتىٰ يتميَّز بذلك عن غيره.

فإن ميزة المسلم: تخلُّقه بالأخلاق الإسلامية والتزامه بها، وبُعده عن ضدِّها.

ومن أهمِّ ذلك الأدب الإسلامي في أقوال المؤمن وسيرته مع أهله ومع إخوانه مع جيرانه، يمتاز بها عن بقيَّة الناس.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب الأدب**» والكتاب جامعٌ لأبواب كثيرة، ذكر منها ستة أبواب مهمَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

◈ **أوَّلها**: باب الأدب، باب الأدب الذي ينبغي أن يتحلَّىٰ به المسلم، تأسيًا بنبيِّه – عليه الصلاة والسلام – في أقواله وأعماله، وسيرته مع نفسه، ومع ربِّه، ومع أهله، وجيرانه، ومع سائر الناس.



الحديث الأول: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إذَا لَقِيتَه فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاك فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَك فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

◈ **هذه ستُّ خلالٍ**: من أهمِّ الخلال، من أهمِّ الخصال الحميدة بين المسلمين، والمسلم له علىٰ أخيه حقوق عظيمة كثيرة، لكن هذه منها، وهذا العدد لا مفهوم له كما قال أهل العلم، يقولون: العدد لا حجة فيه، ولا يُقتصر عليه، ولهذا جاءت في النصوص حقوق أخرىٰ كثيرة غير هذه الستة.

ويجمعها قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤمنُ أحدُكمْ حتَّىٰ يحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِهِ**»(١)، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمنُ للمؤمِنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُهُ بعضًا، وشبَّكَ بينَ أَصَابِعِهِ**»(٢).

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَثَلُ المُؤمنينَ فِي توادِّهِمْ وتَراحِمِهِم وتَعَاطفهِم كَمَثَلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكَىٰ منُه عضوٌ تداعَىٰ له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحمَّىٰ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (١/ ٦٧) (٤٥) (٧١).

(٢) رواه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩) (٢٥٨٥) (٦٥)، والترمذي (١٩٢٨)، والنسائي (٢٥٦٠).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٩٩) (٢٥٨٦) (٦٦).

◈ في أحاديث كثيرة تدلُّ علىٰ كثرة الحقوق، وهذه منها.

«**إذا لقيتَه فسلِّم عليه**»: يعني: ابدأه بالسلام، هذا أفضل، في الحديث الصحيح يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أولىٰ النَّاس باللهِ منْ بَدأهُم بالسَّلامِ**» أخرَجه أبو داود وغيره بإسناد جيِّد(١).

◈ **المقصود**: أن البُداءة بالسلام من الآداب الشرعية، وخصال المسلم التي ينبغي أن يفعلها مع إخوانه.

وهل يجب ذلك؟

علىٰ أقوال لأهل العلم:

منهم من قال: إنه يجب.

ومنهم من قال: فرض كفاية.

ومنهم من قال: سنة، وهو علىٰ كل حال سنة مؤكدة، أي: البداءة.

أما الردّ فلا خلاف في وجوبه، لقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وينبغي للمسلمين التسابق إلىٰ خير الأعمال، كلٌّ يسبق إلىٰ ما هو أفضل «**وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٢).

وكذلك من الخصال: «**وإذا دعاك فأجبه**»: دعاك لوليمة عرس أو غيرها

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٤) (٢٥٦٠) (٢٥)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢).

تجيبه؛ لأن هذا من أسباب إزالة الشحناء وصفاء القلوب، والتعاون علىٰ الخير والتقارب.

كل هذه الخصال ممَّا تقرِّب بين المؤمنين وتجمعهم علىٰ الخير، ومما يُبعد الشحناء عنهم والاختلاف.

ولا يختصّ هذا بدعوة العرس، بل عامٌّ، ولهذا جاءت الأحاديث عامة في إجابة الدعوة كما في حديث البراء في «الصحيحين»: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خَمْسٌ...**»[1] ذكر منها: «إجابة الدعوة»، وفي حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**إِذَا دعَا أحدكُم أخَاهُ فلْيُجِبْهُ عُرسًا كَانَ أو نَحْوَهُ**»[2]، إلا أن يكون لعذر شرعي كالمطر والمرض، أو وجود منكر ظاهر في الوليمة ويصعب إزالته، ونحو ذلك من الأعذار الشرعية التي تمنعه من صلاة الجماعة.

«**وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فانْصَحْ لَهُ**»: كذلك نصيحة المسلم واجبة، «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[3]، ويحرم عليه غشه وخيانته وخداعه، ولكن إذا طلب النصح تأكّد، طلب منك النصيحة واستشارك فالواجب النصح وعدم الخيانة والغش.

«**وَإِذَا عَطَس وَحمِدَ اللهَ فَشَمّتْهُ**»: كذلك من حقِّه عليك.

في الحديث الصحيح يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ كَانَ حَقًّا عَلىٰ كُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ**»[4].

---

(١) رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٤) (٢١٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) رواه مسلم (٢/ ١٠٥٢) (١٤٢٩) (٩٨).

(٣) رواه البخاري قبل حديث (٥٧)، ومسلم (٩٥) (٥٥).

(٤) رواه البخاري (٦٢٢٦).

◈ الواجب علىٰ المؤمن عند سماعه عُطاس أخيه وحمدَه لربِّه أن يشمِّته.

والقول بالوجوب هنا قوي، وإن كان المعروف عند أهل العلم أن هذه من السنن المؤكدة؛ لكن قوله: «**حقًّا عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ لهُ: يَرحَمُكَ اللهُ**» ظاهره الوجوب، كذلك الأوامر: «**فشمته**» ظاهر الأوامر الوجوب، فينبغي أن لا يتساهل في هذا، ومعلوم ما في هذا من المصالح الكثيرة.

«**وإذَا مرضَ فعُدْهُ، وإذَا ماتَ فاتَّبعْهُ**»: كذلك عيادة المريض واتباع الجنائز كلُّ هذا من الحقوق بين المسلمين التي فيها المصالح الكثيرة، وتآلف القلوب وجمعها، وإزالة الشحناء.

◈ فينبغي للمؤمن أن لا يتساهل فيها، بل يعود أخاه إذا مرض، ومعلوم أن أخاه يتأثَّر بهذا.

يعلم أن أخاه تأثَّر به، تأثَّر بمرضه فيزداد نشاطًا، وربّما زالت العلة بأسباب ما يحصل له من السرور بتأثر إخوانه وزيارتهم له، وربَّما احتاج إليهم في حاجة من الحاجات كالطبيب أو الدواء أو حاجة الأهل وما أشبه ذلك مما قد يحتاجه المريض.

◈ **كذلك في زيارة القبور واتباع الجنائز مصالح**: من ذكر الآخرة ذكر الموت، والتعاون مع أهل الميت في دفن ميِّتهم، وجبرهم أيضًا، فإن تشييع الجنازة معهم فيه جبر لهم، فيه مواساة لهم.

فهذا من محاسن الأخلاق، ومن مكارم الأخلاق التي جاءت بها الشريعة.




والحديث الثاني: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ».

◈ هذا فيه الدلالة علىٰ أنه ينبغي للمؤمن أن لا ينظر إلىٰ من هو فوقه في الدنيا، فإنه يتعب حينئذٍ، ويستقلُّ نعمة الله عليه ولا يشكرها، إذا نظر إلىٰ من فوقه في المنزلة: في المال والقصور، في الملابس والدخل الدنيوي ونحو ذلك، يتعب كثيرًا ويستقلُّ نعمة الله، فلا ينبغي له هذا.

◈ بل ينبغي له أن ينظر إلىٰ من دونه في النعمة، في الخِلقة، في الصحة، في المال، في الجاه، في غير ذلك، حتىٰ يعرف قدر نعمة الله عليه، وحتىٰ يشكر الله.

◈ فما من فقير إلا وهناك من هو أفقر منه، وما من مريض إلا وهناك من هو أشد مرضًا منه، وما من ذي جاهٍ إلا وهناك من هو أقلُّ جاهًا منه، وهكذا المسائل الأخرىٰ، إذا نظر إلىٰ من دونه عرف قدر نعمة الله عليه، وكان هذا من أسباب شكره لها، **وهذا في أمور الدنيا**.

◈ **أما في أمور الدين**: فينبغي له أن ينظر إلىٰ من فوقه، وأن يشمِّر وأن يتأسّىٰ بالأخيار، وعلىٰ رأسهم النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام، يتأسىٰ بهم، ويسارع ويسابق كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿سَابِقُوٓا۟﴾ [الحديد: ٢١].

فلا ينظر إلىٰ الكسالىٰ والمجرمين والعصاة، لا، ينظر إلىٰ أهل الخير والمسابقة إلىٰ الخير، يتقدم إلىٰ صلاة الجماعة ويسارع، يتقدم إلىٰ المبادرة بالزكاة، إلىٰ حفظ الصيام، إلىٰ الآداب الشرعية، إلىٰ البُعد عن مواطن التُّهَم،

الحذر من المعاصي، يتأسىٰ بالأخيار في هذا الباب.

❊ ❊ ❊

والحديث الثالث: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ».

◈ هذا فيه أيضًا فضل حسن الخلق، وأنه من الآداب الشرعية.

◈ **وحسن الخلق يجمع:** «طَلَاقَةَ الوجْهِ، وَبَذْلُ المَعْرُوفِ، وكَفُّ الأَذَىٰ» كما قال ابن المبارك وغيره.

فينبغي للمؤمن أن يكون طليق الوجه عند اللقاء، ومع الضيوف، طيِّب الكلام، يبذل المعروف، ويكفُّ الأذىٰ، هكذا يكون حسن الخلق: طلاقة وجهٍ، وطِيب كلامٍ، وبذل خيرٍ، وكفُّ شرٍّ.

فليجاهد نفسه في هذا، ويحرص علىٰ هذا.

◈ **ومن الآداب الشرعية:** تركُ ما يشتبه عليك ويحوك في نفسك حتىٰ لا تقع في الحرام.

تقف حتىٰ تنظر في الأمر وتجتهد في معرفة حال ما أشكل عليك، إما بمراجعة العلم - كتب العلم - وإمّا بمراجعة العلماء حتىٰ يزول اللَّبْس.

وسمّاه إثمًا: لشدَّة ما فيه من الخطر، فينبغي توقِّي ذلك والحذر منه؛ لأن التساهل فيه يوقع في الحرام.

❊ ❊ ❊

الرابع: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ».

◈ وهذا واضح، هذا من مكارم الأخلاق، ومن كمال الشريعة، ومن رعايتها لمصالح العباد فإن الجماعة إذا كانوا ثلاثة وتحدّث اثنان سرًّا شقّ علىٰ الثالث، وخاف أن يكون حديثهما فيه، فلا ينبغي ذلك، بل ينبغي أن يكون حديثهم مشتركًا.

وهكذا لو كانا تحدثا بلغة لا يعرفها، هذا مثل التَّسارِّ، مثل السِّرِّ، كأن لا يعرف الإنجليزية وتحدثا بها وهو حاضر، أو غيرها من اللغات التي يجهلها، فلا يليق، هذا مثل السِّرِّ؛ لأن هذا يُحزنه.

لكن لو كانوا أربعة أو أكثر لا بأس، لأن معه من يتحدث معه.

◈ ويلتحق بهذا لو كانوا أربعة، فلا يتحدَّث الثلاثة سرًّا أو بلغة أجنبية عنه، فإنه يحزنه أيضًا.

كذلك لو كانوا خمسة ويتسارّ أربعة ويدعوا واحدًا مثل ما في الثلاثة، سواء بسواء، حتىٰ يختلطوا بالناس.

❋ ❋ ❋

الخامس: حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا».

◈ فيه الأدب الشرعي، الإنسان ما يُقيم أخاه من مجلسه، لا في المسجد

ولا في غير المسجد، لأنه أغنىٰ منه، أو لأنه أرفع منه عند الناس أو لغير هذا، لا، بل ينتهي حيث ينتهي المجلس، فلا يقيم أحدًا.

إذا دخل ينتهي إلىٰ طرف الصفِّ، أو إلىٰ سدِّ الفُرجة إن كان هنا فُرَج، فلا يقيم أحدًا، وفي المجلس ينتهي حيث انتهىٰ الجلوس، يجلس في المحل الفارغ، ولا يقيم أحدًا.

لكن لو آثره أحدٌ إيثارًا تطيب نفسه به فلا بأس.

وكان ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لا يقبل الإيثار، ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لا يقبل الإيثار، وكان يخشىٰ أن الذي آثره مستحيًا لم تطب له نفسه، فإذا قام له أحدٌ لم يجلس مكانه تورُّعًا منه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فإذا قام لك أحدٌ فينبغي لك أن تتورَّع عنه، مثل فعل ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، إلا إذا عرفت شيئًا واضحًا وأنه عن طيب نفس، وعن محبة لك، وعن تقدير لك فلا مانع.

«**ولكنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا**»: ينبغي التفسُّح والتوسُّع، فإذا جاء الأخ والمكان ضيِّقٌ ينبغي أن يتضامّ الناس ويضعوا له مكانًا حيث أمكن، هذا من مكارم الأخلاق.

❋ ❋ ❋

الحديث السادس: حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنه قال: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ حَتَّىٰ يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا».

وهكذا لا يغسلها حتىٰ يَلعقها أو يُلعقها.

◈ وهذا من باب العناية بالطعام وعدم التساهل فيه، ولهذا في اللفظ الآخر: «**فَإِنَّ أَحَدَكُم لا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ**»، وأمر بسَلْت القصعة، وقال: «**إِنَّ أَحَدَكُم لَا يَدْرِي في أَيِّ طَعَامِهِ البرَكَةُ**»(١).

فينبغي له أن يَلعق أصابعه ويَسْلتَ طريقه من الصحفة، حتىٰ لا يكون طريقه مبعثرًا مشوَّهًا، بل يسلت مكانه، ويلعق أصابعه، ثم يمسحها بمنديل إذا شاء أو يغسلها بماء إذا شاء، فالأمر في هذا واسع.

وهذا من الآداب الشرعية في الأكل فيما يتعلَّق بالفراغ من الطعام.

«**وكونه يُلعقها**»: يعني: يُلعقها غيره، كولده أو زوجته أو خادمه أو يَلعقها هو.

بعض الناس قد يكره اللَّعق وقد يستحيي منه، وهذا غلط؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَلعق أصابعه عليه الصلاة والسلام، وهو خير الخلق وأكرم الخلق.

فلَعْقُ الأصابع لا بأس به، بل هو من السنة.

الأسئلة:

س: حسن الخلق يأتي بخيري الدنيا والآخرة؟.

ج: جاء في بعض الأحاديث: «**كاد حسن الخلق أن يأتي بخيري الدنيا والآخرة**»(٢).

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٠٦) (٢٠٣٣) (١٣٤).

(٢) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (١٢١٢) تـ: صبحي، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤١)، بنحوه.

٧ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيُسَلِّمْ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»[(٢)].

٨ - وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجْزِئُ عَنِ الجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ[(٣)].

٩ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(٤)].

١٠ - وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ لَهُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦٤) (٦٢٣٤)، ومسلم (٧/ ٢) (٢١٦٠)، وأبو داود (٥١٩٨)، والترمذي (٢٧٠٤).

(٢) رواه البخاري (٨/ ٦٤) (٦٢٣٢)، ومسلم (٧/ ٢) (٢١٦٠)، والترمذي (٢٧٠٣).

(٣) رواه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٤٨ - ٤٩)، ولم أجده عند أحمد في «مسنده».

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٦)، ومسلم (٧/ ٥) (٢١٦٧)، وأبو داود (٥٢٠٥)، والترمذي (١٦٠٢).

(٥) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٣)، والبخاري (٨/ ٦١) (٦٢٢٤)، وأبو داود (٥٠٣٣)، والنسائي (٩٩٨٩).

١١ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

١٢ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنِ الْيُمْنَىٰ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

١٣ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

١٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٦٠١) (٢٠٢٦) (١١٦).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٥)، والبخاري (٧/ ١٩٩) (٥٨٥٥)، ومسلم (٣/ ١٦٦٠) (٢٠٩٧) (٦٧)، وأبو داود (٤١٣٦)، وابن ماجه (٣٦١٦).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٥)، والبخاري (٧/ ١٩٩) (٥٨٥٦)، ومسلم (٣/ ١٦٦٠) (٢٠٩٧) (٦٨)، وأبو داود (٤١٣٦)، والترمذي (١٧٧٤)، وابن ماجه (٣٦١٧).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠)، والبخاري (٧/ ١٨٢) (٥٧٨٣)، ومسلم (٣/ ١٦١) (٢٠٨٥) (٤٢)، وأبو داود (٤٠٥٨)، والترمذي (١٧٣٠)، والنسائي (٨/ ٢٠٨)، وابن ماجه (٣٥٦٩).

١٥ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)].

١٦ - وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ[(٢)].

الشَّرْح

◈ هذه الأحاديث كلُّها تتعلق بالآداب الشرعية، وهي منوَّعة.

ذكرها المؤلف هنا لينتبه الطالب لهذه الآداب الشرعية؛ فيتحلَّىٰ بها ويتخلَّق بها؛ امتثالًا لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام، وتأسيًا به في ذلك.

الحديث الأول: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِيُسَلِّمْ الصَّغِيرُ عَلَىٰ الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَىٰ الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَىٰ الْكَثِيرِ، وَالرَّاكِبُ عَلَىٰ الْمَاشِي».

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٨١٨٩)، ومسلم (٣/ ١٥٩٨) (٢٠٢٠) (١٠٥)، وأبو داود (٣٧٧٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦٧١٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨١) (٦٦٩٥)، والبخاري (٧/ ١٨٢) قبل ح (٥٧٨٣)، والنسائي (٥/ ٧٩) (٢٥٥٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥).

◈ هذه السنَّة في حق المسلمين عند التلاقي، تقدَّم أن السنة أن المؤمن إذا لقي أخاه يسلِّم عليه، وأن السنة إفشاء السلام، وأن ذلك من أسباب التحابِّ في الله، وأنه لا يتمُّ الإيمان إلا بذلك، وأن من أسباب التَّحاب في الله: إفشاءُ السلام.

◈ وهنا بيَّن عليه الصلاة والسلام من هو الذي يبدأ؟

فالأفضل أن يبدأ الصغير علىٰ الكبير، والمارّ علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير، والراكب علىٰ الماشي، هذا هو السنة، فإذا مرّ الصغير علىٰ الكبير بدأه بالسلام؛ لأنه أحق منه بذلك لكِبر سنه، فإن عكس وبدأه الكبير حاز الفضيلة، إذا بدأ الكبير حاز الفضيلة، وأدرك صفة التواضع، ولكن المشروع أن يبدأ الصغير، وأن ينتهز الفرصة فيبدأ.

كذلك المارّ علىٰ القاعد: إذا مرَّ علىٰ القاعد فإنه يبدؤه بالسلام.

وكذلك القليل: ثلاثةٌ يمرّون علىٰ أربعة أو خمسةٍ يبدؤونهم؛ لأنهم أكثر منهم وأحقّ.

وكذلك الراكب له نوع من العلو، وله نوع من السلطة لكونه راكبًا، فينبغي أن يكون هو البادئ علىٰ الماشي.

◈ **والحاصل**: أن هذه هي السنَّةُ في هذه الأمور، أن يبدأ هؤلاء بالسلام علىٰ هؤلاء، فإن عكس من طُلب منه البدء - فإن عكس ذلك الآخر القسم الآخر- وبدأ حاز الفضيلة، ولا حرج في ذلك.

وفي رواية لمسلم: «**الرَّاكِبُ عَلَىٰ المَاشِي**» كذلك رواها البخاري أيضًا هذه الزيادة: «**يُسَلِّم الرَّاكِبُ عَلَىٰ المَاشِي**».

◈ومجموع أحاديث هذا الباب كلُّها تدل علىٰ تأكُّد السلام، وأنه من أفضل خصال المسلمين، ولهذا قال جل وعلا في كتابه العظيم:

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

ولما دخل الوفد علىٰ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الضيف: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ [هود: ٦٩].

فالسنة السلام بين المسلمين.

والبدءُ سنة مؤكدة، أو واجب، أو فرض كفاية، علىٰ الخلاف، والجواب متعيَّن كما تقدّم.

❋ ❋ ❋

الحديث الثاني: حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُجْزِئُ عَنِ الجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

◈فيما أذكره من مراجعة سند هذا الحديث أنه لا بأس به، ولهذا سكت عنه المؤلف، وراجعته البارحة في «مسند أحمد» -في مسند عليٍّ- فلم أجده، فلعل المراجع غلِط أو لعلَّ أحمد أخرجه في غير «المسند» ينبغي أن يراجع، ينبغي أن تراجعوه، وتكتبوا سنده إن شاء الله لنا، في «المسند» أو من «الزهد»،كذلك البيهقي مراجعة البيهقي، سكوت المؤلف عنه يدل علىٰ أنه عنده صالح، والذي أذكره في حاله أنه صالح، لكني بعيد العهد عنه ومراجعة سنده.

وهو يدلُّ علىٰ أن البدءَ والجواب فرضُ كفايةٍ، وأنه إذا كانوا جماعة وبدأ

أحدهم كفىٰ، وإذا سلَّموا جميعًا فهو أفضل وأفضل.

◈ **وهكذا الجواب**: إذا أجاب بعضهم كفىٰ، وإذا أجابوا جميعًا كان أفضل وأفضل، لكونهم شاركوا في العبادة وساهموا فيها، وسارعوا لها بدءًا وإجابة.

❁ ❁ ❁

والحديث الثالث: حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ».

قوله: «**عَنْهُ**»: قد يوهم أنه عن عليٍّ الحديث، وإنما من حديث أبي هريرة، والصواب أن يقال: عن أبي هريرة، لعله غلط من بعض النساخ، هذا عن أبي هريرة، وهكذا اللِّي بعده كلُّه عن أبي هريرة.

هذا يدل علىٰ أن الكفار لا يُبدؤون بالسلام، لكن متىٰ بدؤوا أُجيبوا، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فقُولُوا وَعَلَيكُم**»[(١)]، فإذا بدؤونا أجبنا، ولا نبدؤهم؛ استظهارًا لعلو الإسلام عليهم، وأنه يعلو ولا يُعلىٰ، ونوعٌ من هجرهم، لعلهم يستجيبون للحق، وينتبهون لما هم عليه من الباطل.

◈ أما أهل البدع والمعاصي الظاهرة: فينبغي النظر في أمرهم، فإن كان بدؤهم أو جوابهم يرجىٰ فيه خيرٌ ورجوعهم إلىٰ الصواب فُعِل، وإلا استحقُّوا الهجر، إما وجوبًا وإما استحبابًا مؤكدًا لإظهارهم البدع والمعاصي الظاهرة، فإنهم يستحقون بها الهجر حتىٰ يرجعوا.

(١) رواه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٥) (٢١٦٣) (٦).

ذهب إلىٰ وجوبه جماعةٌ. وقال آخرون: بل يتأكَّد ولا يجب.

وسار إلىٰ هذا المعنىٰ ابن عبد القوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته حيث قال :

وَهِجْرَانُ مَنْ أَبْدَىٰ الْمَعَاصِيَ سُنَّةٌ وَقَدْ قِيلَ إِنْ يَرْدَعْهُ أَوْجِبْ وَأَكِّدِ

وَقِيلَ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ مَا دَامَ مُعْلِنًا وَلَاقِهِ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ مُرَبَّدِ

◈ **فذكر الأقوال الثلاثة:**

الوجوب مطلقًا، في هجره.

والتفصيل: إن كان يردع وجب وإلا فلا.

وجزم في الأول وهو أنه سنة؛ لأنه قد يحصل به المقصود؛ ولأن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هجر الثلاثة كعبًا وصاحبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لما تخلَّفوا عن غزوة تبوك، ولم يهجر عبدَ الله بن أبيٍّ وجماعةً من المنافقين المتَّهمين.

قال أهل العلم: إنما ذاك لمراعاة المصلحة الشرعية، فإذا كانت المصلحة تقتضي عدم الهجر وجبت المجاملة دفعًا للشر، ورعاية للمصلحة العامة.

وإن كانت المصلحة تقتضي هجره؛ لأنه لا يترتب عليه إلا خيرٌ يوجبونه، كما فعل النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع كعب وصاحبيه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

وهذا في زماننا وبعد زماننا وفي كل زمان، مراعاة المصلحة الإسلامية في ذلك.



والحديث الرابع: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ لَهُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ».

وفي اللفظ الآخر: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ كَانَ حقًّا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ يَسْمَعهُ أن يَقُولَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللهُ»[1].

◈ **فالسُّنة للعاطس**: أن يحمد الله، والسنة لمن سمعه أن يشمّته.

وقد قال قومٌ بالوجوب، وهو قول قوي للأوامر في ذلك، أمّا إذا لم يَحمد فلا يُشمَّت.

◈ **ولهذا في الصحيح**: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطس عنده اثنان، فشمَّت أحدَهما ولم يشمِّت الآخر، فقال الذي لم يُشمَّت: يا رسول الله، لم تُشمِّتني؟! فقال: «إِنَّهُ حَمِدَ اللهَ فَشَمَّتُّه، وَأَنْتَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ فَلَمْ أُشمِّتكَ»[2].

هذا يدل علىٰ أنه يُعزَّر بترك التَّشميت، حتىٰ ينتبه، حتىٰ لا يعود إلىٰ الغفلة وإلىٰ التساهل بالسنن.

❋ ❋ ❋

الحديث الخامس: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والسادس كذلك فيما يتعلق بالنعلين.

◈ **السنة**: البداءة باليمنىٰ في اللّبس، واليسرىٰ في الخلع، وأنه لا يمشِ

(١) رواه البخاري (٦٢٢٦).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٢٩٢) (٢٩٩١) (٥٣).

في نعل واحدة، بل إما أن يُنعلهما جميعًا، وإما أن يُحفِيهما جميعًا، كما تقدَّم فيما رواه البخاري فيما تقدَّم، وهنا كذلك رواه الشيخان.

◈ **فالحاصل**: أن هذا هو السنة في النَّعلين والخفَّين، إما أن يكونا للرِّجلين جميعًا، وإما أن يُحفِيَهما جميعًا؛ لأن في مشيه في نعل واحدة أو خفٍّ واحد تشويهًا للمنظر، وربما اتُّهم بضعف العقل، وفيه شهرة، وفيه أيضا تعريض لعدم الاعتدال في المشي بأن يحتاج أن يتوقَّىٰ للرِّجل اليسرىٰ، للرِّجل المخلوع.

◈ **فالحاصل**: أنه أقلُّ أحواله الكراهة الشديدة، وظاهر النَّصِّ التحريم؛ وهو الأصل في النهي، التحريم هو الأصل.

❋ ❋ ❋

الحديث السادس: حديث ابن عمر وحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أيضًا: النهي عن الشرب قائمًا.

◈ هذا ورد في عدَّة أحاديث.

◈ والصواب أن الشرب قائمًا جائزٌ، والجالس أفضل.

والأحاديث التي فيها النهي عن ذلك والأمر بالاستقاء منسوخة، أو علىٰ سبيل النَّدب؛ ولهذا ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه شرب قائمًا من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)]، ومن حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، فدل ذلك علىٰ أن الشرب قائمًا جائزٌ، ولكنه جالس أفضل وأهْنئ، وقد يعرض له الحاجة؛ لكونه عجلًا،

---

(١) رواه البخاري (١٦٣٧).

(٢) رواه البخاري (٥٦١٥).

أو لأن المكان غير مناسب الجلوس فيه، أو لأسباب أخرىٰ، فيشرب قائمًا للحاجة إلىٰ ذلك.

❋ ❋ ❋

حديث ابن عمر يقول ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»، وفي اللفظ الآخر: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»[1]، وفي اللفظ الآخر عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا»[2].

◈ هذا يدل علىٰ تحريم الإسبال علىٰ سبيل البطر والكبر، فيكون حينئذ محرمًا لشيئين:

أحدهما: الإسبال.

والثاني: كونه عن تكبُّر وعن بطَرٍ، والتكبُّر جنسه محرم مطلقًا، ومع الإسبال كذلك أشد. والإسبال فيه إفساد الثياب، وفيه الإسراف، وفيه التكبُّر، ولهذا في حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد بسند جيِّد أن النبيَّ ﷺ قال لرجل - وأخذ بحُجزته -: «**لَا تُسْبِلْ ثِيَابَكَ، فإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ**»[3].

وفي الصحيح عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**ثَلاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولَا يَنْظُرُ إِليهِم يومَ القِيَامَةِ ولَا يُزَكِّيهِم وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ: المُسبِلُ إزارَهُ، والمنَّانُ فيما أعطَىٰ، والمنفِّقُ سَلِعته بالحلفِ الكَاذِبِ**» أخرجه مسلم

(١) رواه البخاري (٥٧٨٣)، ومسلم (٣/ ١٦٥١) (٢٠٨٥) (٤٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٧٣).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٦) (١٨١٥١)، وابن ماجه (٣٥٧٤).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح»[١].

وهكذا ما رواه البخاري في «الصحيح» من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا أَسفَلَ مِنَ الكَعْبَينِ منَ الإِزَارِ فَهو في النَّار**»[٢]، والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة. وهكذا حديث جابر بن سُليم: «**إِيَّاكَ وَالإِسْبَالَ فَإِنَّه مِنَ المَخِيلَةِ**»[٣].

◈ وقد ذهب بعض الناس إلىٰ أنه يكره إذا كان عن غير تكبُّر، ويحرم إذا كان عن تكبُّر.

◈ **والصواب**: أنه يحرم مطلقًا، ولكن إذا كان عن تكبُّر يكون أشدَّ في التحريم والإثم.

◈ وأما حديث الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين قال: يا رسول الله، إنَّ إزاري يتفلَّتُ عليَّ إلا أن عاهدته، فقال: «**إِنَّكَ لا تَفعَلُه مِثْلَ مَنْ يَفْعَلُه بَطَرًا وَكِبْرًا**»[٤]، فلا يدل علىٰ جواز الإسبال، وإنما يدل علىٰ أن المؤمن إذا تعاهد إزاره ولم يهمله لا حرج عليه، إذا كان ذلك عن غلبة لا عن تكبُّرٍ فإنه لا حرج عليه في ذلك، بل يتعاهده.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٢) (٢١٤٣٦)، ومسلم (١/ ١٠٢) (١٠٦)، والنسائي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٢٢٠٨).

(٢) رواه البخاري (٥٧٨٧).

(٣) رواه أحمد (٥/ ٦٤) (٢٠٦٣٥)، وأبو داود (٤٠٨٤).

(٤) رواه البخاري (٥٧٨٤،٣٦٦٥).

وأما إذا لم يتعاهده كان ذلك تكبُّرًا صار في حكم الآثمين.

أما إذا تعمّد إسبالَه ويجرُّه، ويقول: ما قصدتُ الكبر!. هذا غلطٌ، والغالب أنه كذبٌ، فإن الغالب علىٰ المسبلين التكبُّر والتَّرفُّع، وقد يكون عن غفلة وعن قلَّة عناية، فيكون منعه من باب سدِّ الذرائع التي توصل إلىٰ الكبر.

وأيضًا: من باب منع الإسراف، ومنع تعريض الملابس للنجاسات والقاذورات والأوساخ.

ولأن غالب الأحاديث مطلقًا بالإجماع فوجب الأخذ بها، وإذا كان عن تكبُّر كان الإثم أشدَّ.

◈ ومن المصائب كثرةُ هذا في الناس اليوم، وهو من الغلط الكبير الذي ينبغي التنبيه عليه والحذر منه.

❋ ❋ ❋

كذلك حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **يقول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ**».

◈ هذا يدلُّ علىٰ وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأنه لا يجوز الشرب باليسار ولا الأكل باليسار.

وفي الصحيح عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا أكل بشماله، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**». قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ

إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ[(١)]، يعني: عوقب عقوبة معجلَّةً، لأنه امتنع عن الأكل باليمين تكبُّرًا، فدعا عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لا يستطيع، فعوقب عقوبةً معجلَّةً، إجابةً لدعوته - عليه الصلاة والسلام - وعقوبة له علىٰ تكبُّرِهِ وإصرارِهِ علىٰ الكبر وكذبه.

◈ فهذا فيه الدلالة علىٰ تحريم الأكل بالشمال والشرب بالشمال، وأن الواجب التأدُّب بالأكل باليمين والشرب باليمين.

❋ ❋ ❋

هكذا حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **يقول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَخِيلَةٍ**»، هكذا يجب علىٰ المؤمن، فإن أكله وثوبه ولباسه وصدقاته من غير إسراف ولا مخيلة، يعني: ولا كبر.

◈ **والإسراف في الصدقة**: كونه ينفق أمواله ويدَع ما أوجب الله عليه من إنفاقه علىٰ العائلة ونحو ذلك، فهذا نوع إسراف في الصدقة.

فالواجب أن يتحرَّىٰ بالصَّدقة مواضعَها، وأن يبدأ بمن يعول، كما قاله النبي عليه الصلاة والسلام.

س: قول اليهود السام عليكم؟

ج: اليهود لهم خبث: السام عليكم، يقصدون الموت فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وعليكم يستجاب لنا فيهم، ولا يستجاب لهم فينا**» علىٰ ما قصدوا، سواء قصدوا الموت أو ما قصدوه، الموت لابد منه.

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٩٩) (٢٠٢١) (١٠٧).

س: أحسن الله إليك: إذا سلم واحد علىٰ واحد يقول: السلام عليك ولَّا السَّلام عليكم؟

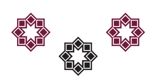
ج: مخيَّر، إن قال: السلام عليك، وإن قال: السلام عليكم فلا بأس، كلاهما جاء.

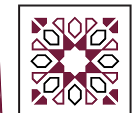
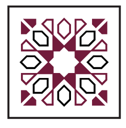
س: هل يجوز أن يبدأ اليهود والنصارىٰ بتحية غير السلام؟

ج: ما نعلم فيه بأسًا، لو قال: كيف حالك فلان؟ كيف حالك وكيف أولادك، أو ماذا فعلت أو كذا، صرح بهذا أبو العباس ابن تيمية وجماعة، ليس من السلام.

س: السنة الجهر بالحمدلة؟

ج: نعم السنة الجهر بالحمدلة حتىٰ يشمَّت، يقال له: يرحمك الله.



باب البِرِّ والصِّلَة

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

٢ - وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ». يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٣ - وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) رواه البخاري (٨/ ٦) (٥٩٨٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٨٠)، والبخاري (٨/ ٦) (٥٩٨٤)، ومسلم (٤/ ١٩٨١) (٢٥٥٦) (١٨)، وأبو داود (١٦٩٦)، والترمذي (١٩٠٩).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٦)، والبخاري (٣/ ١٥٧) (٢٤٠٨)، ومسلم (٣/ ١٣٤١) (٥٩٣) (١٢).

٤ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ[(١)].

٥ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ أَوْ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

٦ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْت رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَك خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٣)].

٧ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ

---

(١) رواه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٤٢٩)، والحاكم (٤/ ١٥١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٦)، والبخاري (١/ ١٠) (١٣)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٥) (٧٢)، والترمذي (٢٥١٥)، والنسائي (٨/ ١١٥)، وابن ماجه (٦٦).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٠)، والبخاري (٦/ ٢٢) (٤٤٧٧)، ومسلم (١/ ٩١) (٨٦) (١٤٢)، وأبو داود (٢٣١٠)، والترمذي (٣١٨٢)، والنسائي (٧/ ٨٩).

الرَّجُلُ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).



يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب البر والصلة**».

◈ البر: برُّ الوالدين، والصِّلة: صِلةُ الأرحام، وبرُّ الوالدين داخل في صلة الرحم أيضًا؛ لأنهما أقرب الرحم، وأعظم الرحم.

وبرُّهمَا من أهمِّ الواجبات، وعقوقهما من أقبح الكبائر، وقد قرن الله حقَّهما بحقِّه في آيات كثيرات كما في قوله سبحانه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله جل وعلا: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] في آيات كثيرات.

◈ وقد قرن العقوق بالشرك كما في «الصحيحين» من حديث أبي بكرة الثقفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤)، والبخاري (٨/ ٣) (٥٩٧٣)، ومسلم (١/ ٩٢) (٩٠) (١٤٦)، وأبو داود (٥١٤١)، والترمذي (١٩٠٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم (١/ ٩١) (٨٧) (١٤٣).

فقرن العقوق مع الشرك، فدلّ ذلك علىٰ أن برَّهما من أهمِّ الواجبات، وهو قرين التوحيد، وعلىٰ أن عقوقهما من أقبح السيئات، وهو قرين الشرك.

◈ وأما الصلة: فهي صلة الرحم، وخيرها عظيم أيضًا، قال تعالىٰ:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، نسأل الله العافية.

فهذا يبيِّن لنا عظم القطيعة، وأنها من أقبح القبائح، وأن صلة الرحم والإحسان إلىٰ الأقارب من أهم الواجبات.

في الحديث الأول: يقول ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

◈ هذا يدل علىٰ أن صلة الرحم من أسباب بسط الرزق ومن أسباب البركة في العمر وطوله، فينبغي للمؤمن أن يتحرىٰ ذلك، وأن يحسن إلىٰ أقاربه، وأن يقصد وجه الله بذلك، فهذا من أسباب أن الله يبسط له في الرزق، وينزل له البركة، وينسأ في أثره، ويفسح في أجله علىٰ خير وهدىً.

❋ ❋ ❋

الحديث الثاني: حديث جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، المعروف، الصحابي الجليل رضي الله عنه، يقول عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»، قال سفيان: يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. رواه مسلم في «صحيحه».

هذا اللفظ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرفوعًا، وأنه لا يدخل الجنة قاطع رحم، هذا يدل علىٰ أن قطيعة الرحم من أسباب الحرمان من دخول الجنة، نسأل الله العافية.

◈ فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر ذلك، وقد سمعتَ قول الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

وفي الصحيح - «صحيح البخاري» - رضي الله عنه ورحمه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»**[(١)].

فالواصل علىٰ الحقيقة والكمال هو الذي يصلهم وإن قطعوه.

أما إذا وصلَهم إذا وصلوه، وقطعهم إذا قطعوه، فهذا مكافئٌ، وهذا يكون مع الرَّحم ومع غير الرحم، لكن الواصل علىٰ الحقيقة والكمال هو الذي يصلهم وإن أساؤوا إليه.

ولهذا في الصحيح أيضًا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ؟ فَقَالَ: **«لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ** - أي الرماد الحامي - **وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ»**[(٢)].

هذا يدل علىٰ أن الواصل يعينه الله ويسدده، ويظهره علىٰ خصومه من أقاربه؛ لأنه أحسن إليهم، وأدَّىٰ واجبهم من صلة الرحم.

---

(١) رواه البخاري (٥٩٩١).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٢) (٢٥٥٨) (٢٢).

◈ فينبغي للمؤمن أن يكون عنده صبر، وعنده تحمُّل في إحسانِه إلىٰ أقاربه ونصيحته لهم، وإن أساؤوا، وإن جفوا، وإن قصّروا، فينصحهم، ويحسن إليهم، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويواسي فقيرهم، ويحسن إليهم مهما استطاع من الخير، وإن أساؤوا، وإن جفوا، يرجوا ما عند الله في ذلك.

❊ ❊ ❊

وهكذا الحديث الثالث: **حديث المغيرة بن شعبة الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». وفي اللفظ الآخر: «وَيَسْخَطُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»**[1].

◈ هذا حديثٌ جَليلٌ عظيمٌ، يدلُّ علىٰ أن عقوقَ الأمهاتِ من أقبح المحرمات، وأنه حرَّم علىٰ الأمة عقوق أمهاتهم، وسبق لنا في حديثِ أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرنه بالشركِ، وأن العقوق من أكبر الكبائرِ، فيجب علىٰ المؤمن أن يحذر ذلك.

والعقوق: القطيعة، عقَّ: قطع.

والقاطع: هو العاق، هو الذي يسيء إلىٰ والديه أو إلىٰ أمه، وحق الأمهات أكبر من حق الآباء، وعقوقهم جميعًا من أكبر الكبائر، فيجب علىٰ المؤمن أن يصل الوالدين، وأن يبرَّهما، وأن تكون عنايته بالأم أكثر، لأن حقَّها أعظم، كما في الحديث الصحيح: قيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**»، قَالَ:

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٤٠) (١٧١٥) (١١).

ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**».(١)

وفي اللفظ الآخر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ**»(٢).

فدل ذلك علىٰ أن حقَّها مقدَّم ثلاث مراتٍ، وفي المرة الرابعة الأب، وما ذلك إلا لما تعانيه في صغره وفي حمله من الأذىٰ، فلهذا شرع الله مكافأتها بأن جعل حقّها أكبر، والإحسان إليها أهمّ، وعقوقهما جميعًا من الكبائر والقبائح.

«**أَمَّا وَأْدُ البنات**»: فهذا من عادة بعض الجاهلية، كان من عادة بعض الجاهلية إمعانًا في الخوف من العار، كانوا يئدون البنات، ويخافون أنها إذا كبرت تزني، فتكون سُبَّةً عليهم، فهذا من جهلهم، بالغوا وزادوا حتىٰ قتلوهن حيَّات، ودفنوهن حيّات، وهذا من منكراتهم وخبثهم الذي نهىٰ عنه الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فلا يجوز قتلها، بل يجب صيانتها والإحسان إليها، والقيام عليها وصيانتها عما يُخاف منه.

◈ أما قتلها حيَّة بالدفن، أو بالضرب، أو بغير هذا من أنواع القتل كلُّه لا يجوز، وهو من صفات الجاهلية.

وكان بعضهم يقتل الأولاد أيضًا خوف الفقر، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ يعني: الفقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧١).

(٢) رواه الترمذي (١٨٩٧).

◈ **فالجاهلية لهم عادات سيئة**: من قتل البنات خوف العار، وقتل الأولاد خوف الفقر، والله ينهىٰ عن هذا كلِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأوجب علىٰ الآباء الإحسان إلىٰ الأولاد، والتربية الصالحة للأولاد، والله هو الذي يتولىٰ رزقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«ومنعًا وهات»: هذا ذنب ثالث، وهو أن بعض الناس كان من سجيَّته الحرص علىٰ جمع المال بكل وسيلة، من حلال وحرام، ثم مع الجمع يمنع الواجب، فهو يمنع ويطلب.

معنىٰ هات: يطلب، منعٍ: يمنع الواجب، هذه من عادة الأشحَّاء والبخلاء، فإذا زاد بخله وزاد شحُّه صار يطلب المال من كل وسيلة، ومن كل طريق، من حِلٍّ وحُرمة، ثم يجمعه ولا يخرج حقَّه، فيكون بخيلًا شحيحًا، يمنع ويطلب، فلهذا حرم الله ذلك ونهىٰ عنه علىٰ يد نبيِّه - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وأما قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَيكْرَه لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»**، وفي اللفظ الآخر: **«وَيَسْخَطُ لكمْ قِيلَ وَقَالَ»**(١).

◈ **معناه**: الحثُّ علىٰ قلَّة الكلام، والحرص علىٰ عدم التوسُّع؛ لأن التوسُّع في الكلام يُفضي إلىٰ الكذب، ويفضي إلىٰ الغلط.

فينبغي للمؤمن أن يكون قليل الكلام إلا في الخير، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

(١) رواه مسلم (٣/ ١٣٤٠) (١٧١٥) (١١).

فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[١].

وفي حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**اللِّسَانُ في عَافِيةٍ ما لَمْ يَتَكَلَّم، فإن تَكَلَّم فَلَهُ أو عَلَيْهِ**»[٢]، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

◈ **فالحاصل**: أن الإنسان في عافية ما لم ينطق، فإن نطق فقد تعرَّض للخطر، فينبغي له أن ينطق بخير، وأن يسكت عما سواه، إما خيرٌ وإما الصمت، هكذا ينبغي للمؤمن.

والصمتُ: يكون عن الشر لا عن الخير.

وفي الحديث الآخر: «**بئس مطية الرجل زعموا**»[٣].

وفي الحديث الآخر: «**كَفَىٰ بِالمَرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[٤].

فينبغي للمؤمن أن يختار الكلام الطيِّب إذا تكلم به، وأن يكفَّ عن الكلام السَّيئ، وأن لا يأخذ مما يسمع إلا الطيِّب، لا يُحدِّث بكل ما سمع، بل يختار وينظر: فيُظهر الطيِّب الذي ينفع الناس، ويدع ما سواه.

أما «**إضاعة المال**»: معناه عدم حفظه بل يضيِّعه في الحرام، أو في اللعب واللهو، أو في أشباه ذلك مما ليس فيه فائدة.

والمال له شأنٌ، وله فائدةٌ كبيرة في أمر الدين والدنيا، فالواجب حفظه

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٧) (٧٤).

(٢) وفي البخاري (٥٢٦٩) «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت بها نفسها ما لم تعمل أو تتكلم**».

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١١٩) (١٧٠٧٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٢)، وأبو داود (٤٩٧٢).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٩٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٨٤٥).

وصرفه فيما ينفع.

أما إضاعته فلا تجوز؛ لأن إضاعته تعتبر سرَفًا وتبذيرًا باطلًا لا يجوز، والله يقول: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

فالمؤمن يصون المال، ويصرفه في وجهه، ويقتنيه من وجهه، ويكسبه من وجهه، هكذا المؤمن، وهو مسئول عن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟.

فعليه أن يتَّقي الله في كسب المال، حتىٰ لا يكسبه إلا من الطريق الحلال، وعليه أن يتقي الله في صرفه، فلا يضعه في الملاهي، أو في الخمور أو في المعاصي، أو في اللعب واللهو الذي لا خير فيه أو ما أشبه ذلك مما يُعدُّ باطلا، ويُعدُّ تبذيرًا، ويُعدُّ سفهًا وفسادًا.

فالمال له شأن، وهو يعين علىٰ الخير إذا أحسن التصرف فيه.

◈ أما كثرة السؤال: فهذا فسّره أهل العلم علىٰ وجهين:

أحدهما: كثرة السؤال في الدنيا في طلب المال، وهذا لا ينبغي، ينبغي للإنسان ألا يسأل إلا عند الضرورة، ولهذا يقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يزالُ الرَّجلُ يسألُ الناسَ حتَّىٰ يَأتِي يَومَ القِيَامَةِ وليسَ في وَجْهِهِ مُزعةُ لَحْمٍ**»[1]. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»[2]. رواه مسلم ، والواجب الحذر.

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٢٠) (١٠٤٠) (١٠٣).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٧٢٠) (١٠٤١) (١٠٥).

في حديث قبيصة بن مخارق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: «رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ؛ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ – أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ – وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّىٰ يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ – أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ – فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا». رواه مسلم[1].

هذا يبيِّن لنا أن المسألة إنما تحلُّ في هذه الوجوه الثلاثة.

أما من يسأل تكثُّرًا وحرصًا علىٰ الدنيا فهذا لا يجوز، ولهذا قال: «وكثرة السؤال»، يعني: الزيادة علىٰ الحاجة.

والمعنىٰ الثاني: كثرة السؤال في العلم، وهذا محمول عند أهل العلم علىٰ من يسأل تعنُّتًا، ويتطلب الأغلوطات، وإيذاء المسئولين، وإيقاعهم في المشاكل والغلط، هذا هو المذموم.

◈ أما من يسأل لطلب العلم وللفائدة، وليستفيد وليعلم الحق، ويقتصد في السؤال ولا يطلب الأغلوطات، ولا يقصد إظهار حسن فهمه علىٰ الناس أو جودة فهمه، أو الرياء، فهذا لا حرج عليه، لكن يقتصد ويكون سؤاله اقتصاديًّا، يتحرىٰ الشيء المهم فيسأل، ولا يؤذي المسئولين بالأغلوطات والمشاكل التي قد تخفىٰ عليهم، أو تعطِّلهم عما هو أهم، ولا يقصد الرياء، وإظهار أنه أفهم من غيره، أو أنه أعرف من غيره، أو ما أشبه ذلك، بل يكون له

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٢٠) (١٠٤٤) (١٠٩)

قصدٌ صالحٌ، ونيَّة صالحة، ويتحرىٰ المسائل التي يحتاج إليها، هذا هو الذي ينبغي له.

أما كثرة السؤال من غير نظر ولا عناية فهو شيء مذموم.

❋ ❋ ❋

والرابع: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «رِضَا اللَّهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللَّهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ».

◈ هذا كالذي قبله في الحثِّ علىٰ العناية بالوالدين، واكتساب رضاهما بالكلام الطيِّب والفعل الطيِّب، والسيرة الحميدة، وليحذر سخطهما، فإن إسخاطهما داخل في الإثم، فيجب الحذر.

❋ ❋ ❋

والحديث الخامس: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وفي «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الجزم: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

◈ فالمؤمن يحبُّ لجيرانه ويحبُّ لإخوانه المسلمين ما يحبُّه لنفسه، ليس في قلبه حقدٌ ولا غِلٌّ علىٰ إخوانه، ولا كراهة ولا حسد، بل يحبُّ لهم الخير، ويكره لهم الشرَّ.

---

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (١/ ٦٧) (٤٥) (٧١).

فإذا كان في قلبه عليهم غِلٌّ فهذا يدل علىٰ ضعف الإيمان، ليس إيمانه كاملًا، بل يكون إيمانه ضعيفًا، ولهذا قال: «لا يؤمن أحدكم»، أي: الإيمان الواجب الكامل.

فالمؤمن الكامل هو الذي يحب لإخوانه ويحب لجيرانه ويحب لأقربائه ويحب للمسلمين كل خير، ويكره لهم كلَّ شرٍّ.

هكذا المؤمن، وهكذا الإيمان يحمل أصحابه علىٰ ذلك، فإذا رأيت من نفسكَ شيئًا خلاف هذا فاعرف أنه ضعف في الإيمان، إذا رأيت من نفسك حسدًا أو غشًّا لإخوانك أو ظلمًا لهم فاعرف أنه نقص في إيمانك، وضعف في إيمانك، فتُبْ إلىٰ الله منه، وسارع إلىٰ الرجوع من ذلك.

❋ ❋ ❋

والحديث السادس: حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله ابن مسعود: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَك خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَك». قُلْت: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِك».

◈ هذا يدل علىٰ أن هذه الخصال الثلاثة: أعظم الذنوب.

أعظمها: الشرك، وهو أعظم الذنوب وهو أقبحها، وأعظم الجرائم؛ لأنه عِدلٌ بالله، وسوء ظنٍّ به، وهضمٌ لجنابه، ولهذا صار أعظم الذنوب، نسأل الله العافية.

وهو صرف بعض العبادة لغير الله، أو صرف العبادة لغير الله، أو اعتقاد تشريك للمخلوق مع الله يتصرف في عباده، هذا كلُّه من الشرك الأكبر،

والذنب الذي لا يُغفر.

وهو إما شرك في الربوبية، أو شرك في الألوهية، أو شرك في الأسماء والصفات - نسأل الله العافية - وهو أعظم الذنوب، فيجب الحذر من ذلك.

ثم يلي ذلك القتل، قتل النفوس بغير الحقِّ، من أقبح الظلم، وإذا كان قتلٌ للأولاد أو الوالدين صار أقبح، وأعظم في الجريمة؛ لكونه جامعًا بين القتل وبين قطيعة الرحم.

ثم يلي ذلك الزنا، وتقدَّم في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [(١)] جعل العقوق مكان القتل فيما يلي الشرك، فالعقوق والقتل كلاهما من أقبح الجرائم، وكلاهما قرين الشرك، نسأل الله العافية.

وهكذا الزنا فهو من أقبح الفواحش، وإذا كان بزوجة الجار أو بالمحارم صار أقبح وأقبح، نسأل الله العافية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وهنا جعله الله مع القتل، وجعله الله مع الشرك تنفيرًا منه، وتحذيرًا منه، وإذا كان مع زوجة الجار الذي يجب الإحسان إليه، وكفُّ الأذىٰ عنه، صار أعظم في القبح وأعظم في الإثم.

وقد أنزل الله في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠].

(١) رواه البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم (١/ ٩١) (٨٧) (١٤٣).

من رحمة الله أنه من تاب من الشرك أو من العقوق أو القتل أو الزنا أو غير ذلك تاب الله عنه، إذا كانت التوبة صادقة: فيها الندم علىٰ ما مضىٰ، وفيها الإقلاع من الذنوب، وفيها العمل الصالح، ثم أتبعها بالإيمان والعمل الصالح، كان هذا من أسباب محو الله لذنوبه، وإبدال سيئاته حسنات، فضلًا منه وإحسانًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فينبغي للمؤمن أن يحاسب نفسه، وأن يتحرَّىٰ التوبة الصادقة، وأن يلزمها، وأن يتبعها بالإيمان الصادق والعمل الصالح.

والله يتوب علىٰ التوَّابين، سواء كان الذنب شركًا - وهو أعظم الذنوب - أو كان غير ذلك من قتلٍ، أو عقوق، أو زنًا، أو قطيعة رحم، أو شرب مسكر، أو غير هذا من أنواع الذنوب.

❋ ❋ ❋

وهكذا الحديث السابع: حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

◈ فهذا يبيِّن لنا أن لعن الوالدين قسمان:

لعن مباشر، وهذا أقبح، كأن يقول: لعن الله فلانًا أو فلانة، يعني: أباه أو أمَّه. هذا هو اللعن المباشر، وهو أقبح في الإثم، وأشدُّ في الجريمة.

السبُّ الثاني: سبُّ الناس، يسبُّ آباء الناس ويسبُّ أمهات الناس، ثم يأتي هؤلاء فيسبُّون أباه ويسبُّون أمَّه، فيكون متسبِّبًا في ذلك، فيكون أيضا آثمًا؛ لأنه

سبَّ الناس حتىٰ توَصَّل الناس إلىٰ سبِّ أبيه وسبِّ أمِّه بأسبابه.

رزق الله الجميع العافية والسلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



٨ - وَعَنْ أَبِي أَيُّوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٩ - وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[2].

١٠ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

١١ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». أَخْرَجَهُمَا مُسْلِمٌ[3].

١٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٥)، والبخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٤) (٢٥٦٠) (٢٥)، وأبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٤)، والبخاري (٦٠٢١)، والترمذي (١٩٧٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٥) (٢٦٢٥) (١٤٢).

اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)].

١٣ - وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

١٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ». أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤) (٢٦٩٩) (٣٨)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٤٢٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٢٤٤)، وابن ماجه (٢٢٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٢)، ومسلم (٣/ ١٥٠٦) (١٨٩٣) (١٣٣)، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١).

(٣) رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٤/ ١٩٩)، ورواه أحمد في «المسند» (٢/ ٦٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٥/ ٨٢).



◈ هذه الأحاديث السبعة كلُّها تتعلق بالبر والصلة كما ترجم المؤلف.

الحديث الأول: حديث أبي أيوب الأنصاري، وهو خالد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحابي الجليل المشهور الذي نزل عنده النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هاجر إلىٰ المدينة، يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». متفقٌ علىٰ صحته.

هذا الحديث الجليل وما جاء في معناه يدل علىٰ تحريم التهاجر بين المسلمين، وقد استفاضت الأحاديث في هذا عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – في تحريم التهاجر والتحاسد والتقاطع والتباغض، وأن الواجب علىٰ المسلمين أن يكونوا بناءً واحدًا، وجسدًا واحدًا، إخوة متحابِّين في الله، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعضُكمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ...**» الحديث. رواه مسلم.

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ **فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ**

يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ **يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة.

ورویٰ مسلم عن أنس وابن عمر وأبي هريرة نحو حديث أبي أيوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في تحريم الهجر فوق ثلاث، وفي بعض لفظها: «**لَا هجرةَ فوق ثلاثٍ**»[(١)]، وفي بعضها: «**لاَ هِجرةَ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ**»[(٢)].

◈ كلُّ هذا يدل علىٰ أن الواجب علىٰ المسلم أن لا يزيد في الهجر علىٰ الثلاث، أما الثلاث فلا بأس؛ لأن النفوس قد يعتريها ما يعتريها من الغضب والشدة والكراهة للشخص، بسبب الخصومة أو المضاربة أو أيِّ عدوان، فيصعب عليه أن يكلمه.

فمن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أن أباح الهجر ثلاثة أيام، حتىٰ يخفَّ ما في النفوس من التأثُّر بخصومة أو مضاربة أو مسابّة أو نحو ذلك.

ثم خيرهما وأفضلهما الذي يبدأ بالسلام، وهذا كلُّه يدل علىٰ أن الواجب علىٰ المؤمنين أن يترفَّعوا فوق أسباب الفُرقة والاختلاف، وأن يتحمَّلوا ما يقع بينهم من الخصومات، وأن يُنصف بعضهم بعضًا في الحقوق، حتىٰ تبقىٰ المودة والمحبة والأخوة، والتعاون علىٰ البر والتقویٰ.

وإذا دعت الضرورة والحاجة إلىٰ الهجر فليكن ثلاثة أيام فأقلّ، حتىٰ يخِفَّ ما في النفوس، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.



(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر (٢٥٦٢).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر (٢٥٦١).

الحديث الثاني: حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ».

هذا عام في كل شيء يُعدُّ معروفًا في العرف: من كلمة طيبةٍ، من شفاعة حسنةٍ، من مواساة، من غير ذلك من وجوه الخير، كله يُعتبر صدقة علىٰ أخيه، لما فيه من جمع القلوب وتأليفها وتقاربها.

هكذا رواه البخاري من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وروىٰ مسلم مثلَه من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**». فالمتن متفق عليه، والصحابي مختلف، فعند مسلم الصحابي: هو حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند البخاري الصحابي: هو جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❋ ❋ ❋

الحديث الثالث: وهكذا حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ». بإسكان اللام، يعني: منبسطًا، وفي لفظ: «طليق» بزيادة ياء، أي: منبسط ليس بمعبِّس.

◈ هكذا ينبغي للمؤمن عند اللقاء بأخيه، وعند المقابلة يكون وجهه طلقًا منبسطًا لا مُكْفَهِرًّا ولا مُعبِّسًا.

❋ ❋ ❋

الحديث الرابع: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَك».

هذان الحديثان كلاهما فيهما من البرِّ والصِّلة ما يجمع القلوب، فانطلاق الوجه وبساطة الوجه وتعاهد الجيران بالصلَّة كلُّ هذا من أسباب التآلف، ومن أسباب تقارب القلوب وتعاونها علىٰ الخير.

هكذا حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الحديث الرابع، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ**- وفي اللفظ الآخر: **عن مُؤْمِنٍ- كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**». رواه مُسْلِمٌ.

وتقدم قول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ**»[1].

◈ هذان الحديثان وما جاء في معناهما من الأحاديث الكثيرة، تدل علىٰ شرعِية التعاون بين المسلمين علىٰ البر والتقوىٰ، وأن كل مسلم يرفُق بأخيه، ويعطف عليه ويرحمه، ولا يظلمه، ولا يخذله للظالمين، بل يعينه علىٰ دفع الظلم.

«**لا يظلمه ولا يُسلمه**» بمعنىٰ: «**ولا يخذله**»، أي: يكون ناصرًا له في الحق، معينا له في الحق، في حاجته في ردِّ ظلامةٍ عنه، في شفاعة حسنة تنفعه، في قضاء دينه، في إخراجه من السجن إذا كان السجن بغير حق، في الزواج، في غير هذا من وجوه الحاجات.

«**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»: هذا عام، والحاجات متنوِّعةٌ.

وهكذا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**واللهُ في عونِ العبدِ ما كَانَ العبدُ في عونِ أخيهِ**»

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٥٨)، (٢٥٨٠).

◈ فلو عمل المسلمون بهذه الأحاديث لزال كلُّ شرٍّ، ولحصل كلُّ خيرٍ، ولاتَّحد جمعُهم، ونصرهم الله علىٰ عدوهم، نسأل الله أن يصلح أحوالهم، وأن يجمعهم علىٰ الهدىٰ.

❁ ❁ ❁

 الحديث السابع: **حديث أبي مسعود وهو عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

وفي بعض النسخ: «**ابن مسعود**»، وهذا غلط، والصواب: أبو مسعود: «**من دل علىٰ خير....**».

◈ هذا حديث عظيم من جوامع الكلم، فينبغي للمؤمن من طالب علم ومن غيره من المسلمين أن يحرص علىٰ الدلالة علىٰ الخير، يدل إخوته علىٰ الخير في دينهم ودنياهم، يدلُّهم علىٰ ما ينفعهم.

وأعظم ذلك ما ينفعهم في الدين: «**من دلَّ علىٰ خيرٍ كانَ لهُ مثلُ أجرِ فاعلِهِ**»، أرشدته إلىٰ معروف فعمل به، من برِّ والدين، وصلةِ رحمٍ، وبدءِ سلامٍ، أو ردِّ سلامٍ، من تشميت عاطسٍ، من أمرٍ بمعروف، إلىٰ غير هذا، فإن فعل مثل قولك يكون لك مثلُ أجره.

نهيته عن منكر فامتَثَلَ وتركَ المنكر يكون لك مثل أجره، وهذا الشيء لا يُحصىٰ، أغراضه كثيرة.

◈ فينبغي للمؤمن أن لا يحقر نفسه، ولا سيما طالب العلم، بل يبذل المعروف، ويدل علىٰ الخير، ولا ييأس، ولا يقل: هذا لا يسمع ولا يستجيب،

أو يقل: هؤلاء لا يستجيبون، بل يبذل، والله الموفق والهادي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ». أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ.

◈ اختصره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وتمامه: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»، وفي رواية: «**حتَّىٰ تَعلمُوا**»، وفي رواية أخرىٰ: «**مَنْ دَعَاكُم فَأَجِيبُوه**» ذكره الشيخ محمد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «التوحيد» وعزاه لأبي داود والنسائي.

◈ **والمقصود**: أنه حديث جيِّد عظيم، يدل علىٰ أن أهل الإيمان ينبغي أن يكون بينهم هكذا من سأل بالله أعطوه تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ.

◈ ولا ينبغي السؤال بالله كما جاء النهي عن ذلك، لكن لو فعل فينبغي إعطاؤه ما تيسر من ذلك، إن كان فقيرًا يعُطىٰ ما تيسر، إن كان من مال الزكاة، وهو من أهلها يُعطىٰ، إن كان يطلب الإنظار أو يستحق الإنظار أُنظر.

◈ أما إذا طلب ما لا يستحقُّ فلا حقَّ له في ذلك، فلو سأل بالله أن يعُطىٰ من الزكاة لا يُعطىٰ لأنه سأل بالله ما لا حق له فيه، ولا وجه له، فسؤاله خطأ.

◈ كذلك إذا استعاذ بالله لا يُعاذ إلا إذا كان يستعيذ بشيء ليس لازم له، وإنما استعاذ في... لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عوذ ما عاد الحق بأهله**»[1]،

---

(١) أخرجه أبو داود بلفظ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن دعاكم فأجيبوه**» في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله عَزَّوَجَلَّ (١٦٧٢).

فإن قال: أعوذ بالله أن تلزموني بكذا - شيء ليس بلازم له - أو أعوذ بالله أن تأخذوا مني ما لا حقَّ لكم فيه : يُعاذ، أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي له فيها حق، أو ليس بلازمة له.

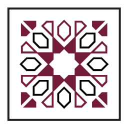
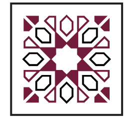
أما أن يستعيذ بشيء لازم كأن يقول: أعوذ بالله أن تأخذوا الدين الذي علي، أو أعوذ بالله أن تأمروني بمعروف أو تنهوني عن منكر: لا يُطاع؛ لأنه استعاذ بالله من شيء الله أمر بعدم إعاذته فيه، وأمر بإلزامه به.

وهكذا إذا دعاك: فإنه يُجاب، إلا إذا دعا إلىٰ منكر، أو إلىٰ وليمة فيها منكر فلا يُجاب، إلا إذا كان المدعو يستطيع إزالة المنكر.

هكذا يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من أتىٰ إليكم بمعروف فكافئوه»**: صنع لكم صنيعة طيِّبة يكافأ علىٰ معروفه بالمعروف من... الدنيا، وكان النبي يقبل الهدية ويُثِيب عليها، فإذا صنع معروفًا من شيء ينفعه مثل إصلاحه إزار أو إصلاح سيارة أو... إلىٰ غير ذلك من الوجوه التي تستطيع أن تكافئه فيها فتكافئه، فإن عجزت فادع له حتىٰ ترىٰ - حتىٰ تعلم- وفي رواية بعضهم: **«حتىٰ تُرَوا»** أي: تظنوا، ولكن جاء في الرواية الصحيحة: «حتىٰ تعلموا»، وهذا يدل علىٰ أنها بمعنىٰ تروا - بفتح التاء - تعلموا، يعني: يجتهد ويحرص حتىٰ يدعو له دعوات كثيرة يعلم معها أنه كافأه علىٰ معروفه الذي لم يستطع معه أن يكافئه عليه بالمال، وهذا من مكارم الأخلاق ومن محاسن الأعمال ومن طِيْب الشِيَم.

أما الإعراض عمَّن أحسن إليك، وكأنه ما فعل شيئًا فليس من مكارم الأخلاق.

وفق الله الجميع.


بابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ

١ - عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - وَأَهْوَىٰ النُّعْمَانُ بِأُصْبُعَيْهِ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ - «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[٢].

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٠)، والبخاري (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) (١٥٩٩) (١٠٧)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي (٧/ ٢٤١)، وابن ماجه (٣٩٨٤).

(٢) رواه البخاري (٦٤٣٥)، وابن ماجه (٤١٣٥).

٣ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبَيَّ، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[(١)].

٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ[(٢)].

٥ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ[(٣)].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤)، والبخاري (٦٤١٦)، والترمذي (٢٣٣٣)، والنسائي (١١٨٠٣)، وابن ماجه (٤١١٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠)، وأبو داود (٤٠٣١).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٥١٦).



الشَّرْحُ

◈هذا الباب في الزهد والورع، يقصد أهل العلم بالزهد : الزهد فيما يَشغل عن الآخرة من الدنيا وشئونها، والرغبة في الآخرة والعِداد لها، ويدخل في ذلك الزهد في الحرام والمكروهات وبعض المباحات التي قد تَشغل عن الآخرة، وتُسبِّب عقَبات ضدَّ العمل الصالح.

◈فينبغي للمؤمن أن يكون عنده زَهادةٌ في كل ما يُضعف همَّتَه ورغبته في الآخرة من مشاغل الدنيا وشئونها، وأن يكون قويّ الاستعداد للآخرة، قويّ الرغبة فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا يمنعه ذلك من العمل في الدنيا والاستغناء عمّا في أيدي الناس: من البيع والشراء والزراعة ونحو ذلك؛ حتىٰ يستغني عمّا في أيدي الناس، لكن لا تَشغله هذه الرغبة ولا تشغله هذه الأعمال عن العِداد للآخرة، بل قلبه زاهد فيها راغب فيما عند الله، وإنما يعمل ما يعمل ليستعين بذلك علىٰ طاعة الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ويستغني عمّا في أيدي الناس.

وهكذا الورع: الورع عن المشتبهات التي قد يكون فيها حرام أو مكروه فيتورَّع عن ذلك، ويكتفي بما اتضح له وبان له وجهه، ويتورَّع عمّا قد يكون فيه شبهة أو كراهة، حرصًا علىٰ سلامة دينه ونقاء دينه مما قد يعتريه من محرَّم أو مكروه أو مشتبه.

وهذا بدأ بالحديث الأول – حديث النعمان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ – لأنه يتضمن هذا المعنىٰ، وحديث النعمان هذا حديث عظيم جليل، حتىٰ جعله بعض أهل

العلم ربعَ الدين، كما قال بعضهم:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ ... أَرْبَعٌ مِنْ كَـلَامِ خَيْرِ البَرِيَّة
اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وازْهَـدْ وَدَعْ ... مَا لَيْسَ يَعْنِيكَ واعْمَلَنَّ بِنِيَّة

فبدأ بقوله: «اتق الشبهات».

وهو حديث جليل عظيم، ولهذا لما حدّث به النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أهوىٰ بيديه إلىٰ أذنيه، يعني: أني سمعته من رسول الله بأذنيّ، أو معنىٰ صُمَّتَا لو لم أكن سمعته من رسول الله – عليه الصلاة والسلام – : «**إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

◈ هذا الحديث العظيم من أصحِّ الأحاديث وأثبتها عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام –وهو يشتمل علىٰ معان عظيمة:

أوَّلها: بيّن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ، أي: في كتاب الله وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، والمعنىٰ: فيجب الأخذ بالحلال واعتقاده، وترك الحرام والحذر منه، لأنه شيء بيِّنٌ.

فيجب علىٰ المسلمين اعتقاد الحلال والالتزام به، واعتقاد الحرام والالتزام به.

ثم قال: «**وبينهما مشتبهات**» أي: الأمور قد تشتبه علىٰ بعض الناس، ولهذا

قال: «**لا يعلمهن كثير من الناس**». يعني: كثير من الناس ضعُف علْمه، فلا يعلم بعض الأشياء، فينبغي في هذه الحال التوقُّف عنها وتركها، حتىٰ يَبين أمرُها، ولهذا قال: «**لا يعلمهن كثير من الناس**». تارة في الأوامر، وتارة في النواهي.

◈ فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ ولا يعجل حتىٰ يتَّضح له الأمر:

إمَّا بالدراسة والمطالعة والقراءة.

وإمَّا بسؤال أهل العلم عما اشتبه عليه.

فلا يُقدِم علىٰ المشتبهات التي قد تكون محرمة فيرتكبها، أو تكون واجبة فيضيِّعها.

◈ بل ينبغي له التَّثبت والعناية والصبر، حتىٰ يتَّضح له الأمر بطلب العلم والاجتهاد في الفحص عن هذا المشتبِه أو بسؤال أهل العلم إن كان لا يستطيع تخليص ذلك بنفسه وباجتهاده.

ثم قال: «**فمن اتقىٰ الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه**»: أي: اتَّقاها وحذرها حتىٰ يتبيَّن أمرها، وهذا من البراءة لدينه ولعرضه، حتىٰ لا يُسبّ عرضُه ولا يُنتهك، واستبرأ لدينه حتىٰ لا يقع في الحرام أو في تضييع الواجب.

«**فمن وقع في الشبهات**»: بأن ترك بعض الأوامر أو ارتكب بعض النواهي التي اشتبه أمرها عليه جرَّه هذا إلىٰ الوقوع في الحرام، ولهذا قال: «**وقع في الحرام**». وفي اللفظ الآخر: «**يوشك أن يقع في الحرام**»[1].

والمثال يدل علىٰ هذا المعنىٰ، فإن ارتكاب الشبهات وسيلة إلىٰ الوقوع

(١) رواه مسلم (١٠٨) (١٥٩٩).

في الحرام؛ لأنه يُضعف القلب، ويُضعف الإيمان، فيتساهل حينئذٍ فيقع في الحرام؛ لأنه إذا أخذ بالشبهات ضعُفت القوة التي في قلبه في ارتكاب المحارم؛ لأن الشبهات حاجز، والمنكرات حاجز، فإذا ارتكبها وتساهل بها: تساهل بعد ذلك بركوب الحرام، وضعف الامتناع الذي في قلبه، أضعفه تعاطيه المشتبهات.

«كالراعي يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يقع فيه»: فالراعي إذا أبعد رعيته عن الحِمىٰ سهل عليه أمر السلامة، وخفَّ عليه الخطأ، فلو نام أو غفل بإمكانه أن ينتبه قبل أن تصل إلىٰ الحِمىٰ، لبعدها عنه، لكن متىٰ رعاها حول الحمىٰ عند أقلِّ غفلة أو نَعسةٍ ربما تقع في حمىٰ الناس وزروع الناس فتفسدها عليهم، فالحِيطة أن يبتعد عن الحمىٰ بماشيته حتىٰ لا يقع فيه.

هكذا المؤمن ابتعاده عن المشتبهات هو قريب من السلامة، فإذا وقع في المشتبهات قرب إلىٰ الخطأ.

وفي حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ**». هذا المعنىٰ، حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**لَا يبلغُ عبدي درجةَ المُتَّقِينَ حتَّىٰ يدعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حذرًا ممَّا بِهِ بَأْسٌ**»[(١)].

◈ **والمقصود**: أن المؤمن يكون عنده من الحيطة والعناية والبعد عن المشتبهات التي يقف فيها فكره وقلبه لا يجزم، في احتياطه وفي بعده عنها سلامةٌ لدينه، وسلامة لعرضه، وبعدٌ له عن الوقوع في الحرام، ومتىٰ وقع في التساهل في هذه الأمور صار يُشبه حال الراعي الذي يرعىٰ إبلَه أو بقره أو غنمه حول مزارع الناس.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقرَّه الذهبي.

◈ثم ذكر أمرًا آخر، وهو أن المحارم هي حمىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يبيِّن تحريمها والخطر في ارتكابها، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يبتعد عن هذا الحمىٰ الذي هو حمىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وذلك بالحذر من السيئات، والحذر من المشتبهات جميعًا «**ألا وإن لكل ملك حمىٰ، ألا وإن حمىٰ الله محارمه**».

إذا كان الملوك يغضبون إذا انتُهك حماهم، وربما عاقبوا وسجنوا، فالله جل وعلا أولىٰ وأولىٰ وأولىٰ بأن يُبتعد عن حماه، ولا يُنتهك حماه، وهو المعاصي، فحمىٰ الله هو محارمه التي حرّم علىٰ عباده، فيجب أن يُحذر من انتهاكها وارتكابها والتساهل بها.

ثم التساهل بها يجرُّ إلىٰ قسوة القلب ومرضه، حتىٰ يقع فيما هو أكبر من الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن المعاصي بريد الكفر، كما أن المرض بريد الموت.

ثم ذكر القلب وشأنه، وأن شأنه عظيم، وأنه محوَر النجاة ومدار السلامة، متىٰ صلح صلح الجسد، ومتىٰ فسد فسد الجسد: «**ألا وإن في القلب مضغة** ». سمّاه مضغة، لأنه يشبه المضغة: اللحمة التي قد مُضغت بعد المَضْغ.

فهذه المضغة – وهي القلب – متىٰ عمرت بالتوحيد والإيمان وخشية الله، والتعظيمِ لحرماته، والمراقبة له: صلح الجسد، واستقام أمره، وانقادت الجوارح لكل خير، ومتىٰ فسدت هذه المضغة بالشكوك والأوهام والنفاق واستيلاء سواد الذنوب عليه انقادت الجوارح للشر والفساد.

◈فالواجب علىٰ المؤمن أن يسعىٰ جاهدًا لصلاح قلبه بالإكثار من ذكر الله وطاعته، والحذر من المعاصي، ومراقبة الله وخشيته – سبحانه – حتىٰ يبقىٰ هذا القلب نقيًّا سليمًا، بعيدًا عن سواد الذنوب، والله المستعان.

: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ».

المؤلف اختصره، وتمامه: «تَعِسَ عبدُ القَطِيفَةِ، تَعِسَ عبدُ الخَميلةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعثَ أغبَرَ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشفعْ لَهُ».

فالمؤلف يبيِّن بهذا أن العبد إذا كانت همَّتُه تبع الدنيا صار عبدًا لها، وإن كانت همَّتُه تابعة للآخرة صار عبدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة»: وهي كساءٌ جميلٌ له نقوش، «تعس عبد الخميلة»: كساءٌ ليس له نقوش، «إن أُعطي رضي وإن لم يُعط لم يرض». فهو عبد لها يرضىٰ لها، ويغضب لها، هكذا عبد السوء.

◈ أما المؤمن: فهو عبد لله، يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويستعين بهذه النعم من الدراهم والدنانير والملابس وغيرها يستعين بها علىٰ طاعة الله، ولا يعبدها، وإنما يعبد الله وحده - جل وعلا - فيستعين بما يسر الله له من الدنيا علىٰ طاعته- سبحانه - ولا تستعبده هذه الدنيا وتجعله عبدًا لها، لكمال إخلاصه وكمال إيمانه وكمال يقينه.

◈ فعلىٰ العبد أن يجتهد في ذلك، وأن يحذر أن تستعبده هذه الدنيا؛ لئلا يقع في أسباب الهلاك، فإن من استعبدته صار عبدًا لها، يرضىٰ لها ويغضب لها، وثقلت عليه أعمال الآخرة، وشقت عليه أعمالها، وخفت عليه أعمال

الدنيا وشهواتها. والله المستعان، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقوله: «**تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**»: هذا وعيد، ودعاء عليه بالتعاسة، لكونه عبد الدنيا وغفل عن الآخرة، ولم يجتهد في عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»: دعاء عليه بالتعاسة في أموره، وعدم تيسير أموره حتىٰ فيما يصيبه من الشوكة، إذا أصابته لا يستطيع نبشها وأخذها وإخراجها، وهذا كلُّه من باب الوعيد والتحذير للمؤمن أن يقع في هذه الأخلاق الذميمة، ووصية له وتحريض له علىٰ أن يستقيم علىٰ عبادة الله والإخلاص له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والحذر مما يُميل قلبه للدنيا حتىٰ تستعبده، وحتىٰ يكون عبدًا لها، وحتىٰ يذهب عنه الإعداد للآخرة، أو يضعف هذا الإعداد للآخرة، بسبب ما وقع في قلبه من الرغبة للدنيا وشهواتها وحبِّها العاجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

◈ أمَّا ما يتعلَّق بالمجاهدين والجهاد والرغبة في الآخرة فهذا شأنٌ آخر، لكن مقصود المؤلف هو أول الحديث.

❋ ❋ ❋

الحديث الثالث: حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وأخذ رسول الله بمنكبه عليه الصلاة والسلام: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**».

هذا يدل أيضًا علىٰ الرغبة في الآخرة، وأنه لا يركن إلىٰ الدنيا؛ لأنه إذا ركن لها عمل لها واجتهد فيها، ونسي الآخرة.

أما إذا أعدَّها دار غربة فإنه يأخذ منها ما يحتاج إليه، ويستعدَّ للآخرة بكل

جهده، كالغريب في الوطن الذي يمرُّه، يأخذ حاجته منه: الزاد أو استئجار المطيَّة أو السيارة أو ما أشبه ذلك، حتىٰ ينتقل إلىٰ بلده.

◈ فهكذا المؤمن في هذه الدار هو ابن سبيل فيها، وغريب فيها فينبغي له أن يَعُدَّ العُدّة لآخرته، وألا تَشغله عن الآخرة، وأن لا يركن إليها حتىٰ تميل به، وحتىٰ تُضعف قلبه عن إرادة الآخرة، بل يكون فيها كالغريب الذي يَعُدُّ العُدّة للانتقال والسفر، لا للبقاء فيها والثبات فيها والركون إليها.

وهكذا المؤمن ينبغي له أن يكون هكذا في دنياه، ليس راكنًا إليها ولا راغبًا فيها، ولا معتبرًا لها وطنا، وإنما يعدُّها دار سفر، دار غربة، يعمل فيها في زراعته أو تجارته أو صناعته عمل من يعدُّ للآخرة، عمل من يستعين بهذه الآلات علىٰ طاعة الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ نفع العباد وتوجيههم إلىٰ الخير، لا عمل من هو راكنٌ لها، راغب فيها، مطمئن لها، ضعيف الإعداد للآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**».

هذا مثال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يستفيده من الحديث، أن يعدَّ العدَّة، وأن يقصِّر الأجل، لا يطوِّل الآمال؛ لأنه إذا طوّل الآمال ضعفت مسألة الإعداد، ولكن متىٰ قصّر الأمل عظم الإعداد للآخرة.

«**إذا أَصبَحتَ فلا تنتظرِ المساءَ وإذا أَمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ**». وهذا معناه: الإعداد للآخرة والتَّأهب دائمًا دائمًا؛ لأنه لا يدري إذا أصبح هل يمسي أم لا؟ وإذا أمسىٰ هل يصبح أم لا؟ والواقع شاهد بهذا - الواقع بين الناس

شاهد بهذا - فكم من مُصبحٍ لم يُمسِ، وكم من مُمسٍ لم يُصبح.

فالواجب أن يعدَّ العدَّة دائمًا، وأن يحذر الغفلة، حتىٰ إذا هجم عليه الأجل فإذا هو علىٰ استعداد لآخرته، وعلىٰ أُهبة للقاء ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❋ ❋ ❋

وهكذا الحديث الرابع: **يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».**

الكفار ركنوا إلىٰ الدنيا، ورغبوا فيها، ونسوا الآخرة، والله حذرنا منهم بقوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر:١٩].

◈ فالواجب علىٰ المؤمن ألا يتشبَّه بهم، وألَّا يُضيِّع آخرته، بل يستعدُّ للآخرة ويتأهَّب لها، ويحذر الرُّكونَ إلىٰ هذه الدار، ركون الراغب فيها المطمئن إليها، ولكنه يعمل فيها عمل المسافر، عملَ الغريب الذي يريد أن ينتقل من بلد الغربة إلىٰ وطنه.

فالوطن في الحقيقة هي الجنة، وهي وطننا ومحلُّ أبينا سابقًا، فالواجب التأهُّب للانتقال إليها والعودة إليها، والله المستعان.

❋ ❋ ❋

الحديث الخامس: **حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللَّهِ...» الحديث.**

هذا حديث عظيم، كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم معه ابن عباس

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**».

هذا مما يسبب صلاح القلب وثباته علىٰ الإيمان، إذا حفظ ربه.

«**احفظ الله يحفظك**»: حفظُ الله بفعل الأوامر وترك النواهي، بحفظ أوامره وحفظ نواهيه، حفظ الأوامر بالامتثال، وحفظ النواهي بالترك والاجتناب والحذر.

والله ليس بحاجة إلينا، وإنما المقصود أن نحفظ أوامره، وأن ننصر دينه، مثل قوله سبحانه: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]، فالمعنىٰ نصر دين الله ونصر أوامره ونصر نواهيه، بالأمر بالأوامر، والنهي عن النواهي، والجهاد في سبيل الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا: «**احفظ الله يحفظك**» يعني: احفظ أوامره واستقم عليها، واحفظ النواهي بالحذر منها.

«**احفظ الله تجده تجاهك**» أي: معك في كل شيء، فهو أمامك، إذا استقمت فهو أمامك، يُعينك علىٰ الخير، ويوفقك ويسهل طريقك: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

هو مع أوليائه بالحفظ والتأييد والتوفيق والهداية، ومع العباد كلِّهم بالعلم والإحاطة سبحانه، وهو فوق العرش فوق جميع الخلق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لكن لا يخفىٰ عليه خافية- جل وعلا.

فالعبد متىٰ حفظ الله بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، والإعداد للآخرة، حفظه الله، وصار معه ناصرًا ومؤيدًا وموفقًا.

ثم قال: «**وإذا سألت فاسأل الله**» يعني: اخضع له في كل الأمور، وأخلص له العمل في كل الأمور، لا تغفل، لا تركن لمخلوق.

المخلوق ضعيف ليس في يده هدايتك ولا نجاحك، ولا غناك ولا فقرك، ولكنه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»، يعني: اطرح حوائجك له - جل وعلا - وألقها إليه، وتوجَّه بها إليه، فهو الذي يعينك، وهو الذي بيده كل شيء، وهو الذي يقضي الحوائج، ويسهل الأمور، متىٰ لجأت إليه واستقمت علىٰ دينه، وأخذت بالأسباب النافعة التي شرعها لك وأباحها لك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

◈ **وهكذا الاستعانة**: تستعين به في كل الأمور، في أمر الدنيا والآخرة، تستعين به علىٰ طاعته، علىٰ مصنعك، علىٰ تجارتك، علىٰ تربية أولادك، علىٰ إصلاح شئون دنياك، كما تستعين به في أمر الآخرة، في طاعة الأوامر وترك النواهي، فهو المستعان في كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال في تمام الحديث: «**وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**».

يعني: ليس يكون لك أمر بيد الناس، كلُّه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قدَّرَ القدَرَ، وكتب القدر، وتمت الأمور، فهو بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، فعليك باللجأ إليه، وسؤاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والاستعانة به في

كل أمورك، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

◈ وهذا يستثنىٰ منه أمرٌ واضح في الأمور التي بين المخلوقين، فلا مانع من الاستعانة بهم في حاجاتك مع الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتستعين بالخادم والصانع والسائق وغير ذلك، مع كون قلبك يعلم أن الأمور بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه هو الذي سخَّرهم وعلَّمهم وأعطاهم وجعلهم يعملون، فإذا استعنت بهم في أمور دنياك وفي أمور دينك، مع إيمانك بأنه سبحانه هو الموفِّق، وهو الهادي، والمعين، وأنه بيده - جل وعلا- إن شاء وفَّقهم وأعانهم، وإن شاء خذلهم فهذا لا يضر.

فالمخلوق يُستعان به في الأمور التي يقدر عليها، فالحيُّ الحاضر الموجود الذي يسمع كلامك ويستفيد من توجيهك، هذا لا بأس به بإجماع المسلمين، وهو داخل في الأمور العادية التي أباحها الله لعباده، وجعلها بينهم من أسباب صلاح شئونهم.

◈ وإنما الممنوع أن تستعين بميِّت أو حجر أو صنم أو كوكب أو غائب من جنٍّ أو غيره، هذا هو الممنوع، وهذا هو الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أما الاستعانة بالمخلوق الحاضر الحيِّ القادر في الشئون التي يستطيعها فهذا لا بأس به، كما قال عَزَّوَجَلَّ في قصة موسىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥].

وكما يستعين الإنسان بأصحابه في الحرب وفي غير ذلك من شئون الحياة، والجنود يستعين بعضهم ببعض، ويعدُّون العُدَّة لقتال الأعداء، ويهجمون جميعًا، ويرتبون أمورهم وينظمونها لطلب الانتصار علىٰ عدوهم.

وهكذا الحرَّاث: يعدُّ العدَّة لحرث الأرض ولسقي الأرض، ويأتي بالعمال، ويعلم أن هذا كلَّه بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وإنما هي أسباب شرعها ربنا وأمر بها عَزَّوَجَلَّ.

وهكذا الصانع: يأتي بآلات الصناعة، ويهيئ الصناعة، ويأتي بالعمال، يرجو ما عند الله من النجاح والتوفيق، وهذه غير داخلة في الشرك، وغير داخلة في ضعف الإيمان، بل متىٰ فعلها المؤمن وهو يعلم أن الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه الذي علَّم هذا، وجعل هذا يُعين هذا، هذا من تمام الإيمان، ومن كمال الإيمان.

وإنما يضرُّه إذا مال إليها، وعلَّق قلبه بها، ونسي الله، وأعرض عن الله، هذا هو الذي يضره، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم.

٦ - وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُه أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّك اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّك النَّاسُ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ[1].

٧ - وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٢).

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)].

٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيه». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حديث حَسَنٌ[(٢)].

٩ - وَعَنِ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يَكرِبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ[(٣)].



قَالَ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: معدي كرب ، يقرؤونها مع الدال، الياء مع الدال.

س: «مِن القارئ»: جَعَل الياءَ مع الكاف؟

ج: لكن قرائتنا فيما نقلنا عن مشايخنا فيما نعلم الياء مع الدال، معدي كرب.

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ١٦٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٧) (٢٩٦٥) (١١).

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦).

(٣) «سنن الترمذي» (٢٣٨٠)، ورواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٢) (١٧١٨٦)، والنسائي في «الكبرى»(٦٧٣٨)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

ما أدري ما السبب الذي؟ يحتاج إلىٰ التأمُّل، شكلها تُملىٰ مع الكاف، الذي ينبغي تكون وحدها، هذا الذي ينبغي، تقرأ معدي كرب «التقريب» لعله نبَّه علىٰ شيء، المقدام بن معدي كرب، لعله يُنبِّه.

وهو تركيب مزجي المعروف، معدي كرب وهو كالتركيب المزجي المعروف، مثل بعلبك وأشباهه.

[قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التقريب» (٦٨٧١)]: «المقدام بن معد يكرب ابن عمرو الكندي، صحابي مشهور، نزل الشام، ومات: سنة سبع وثمانين علىٰ الصحيح، وله إحدىٰ وتسعون سنة، خ ٤». اهـ.

س «من الشيخ»: **كيف الياء جمعها مع الكاف ولَّا جعلها وحدها؟**

ج: «من قارئ التقريب»: لا، جعل الياء مع الكاف[1].

س: «من الشيخ»: **متىٰ مات؟**

ج: مات سنة سبع وثمانين علىٰ الصحيح، وله إحدىٰ وتسعون سنة.

قَالَ ابْن بَاز: يعني: قبل الهجرة بأربع سنين! يوم مات النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمره أربع عشرة سنة!، محل نظر.



(١) يعني (معد يكرب).

١٠ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ[١].

١١ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلَهُ». أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ[٢].



الشَّرْح

◈ هذه الأحاديث كلُّها داخلة فيما بوَّب له المؤلف من الزهد والورع.

الحديث الأول: حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الساعدي الأنصاري الخزرجي، صحابي وأبوه صحابي أبوه سعد بن مالك صحابي، وهو صحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا قال يا رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُه أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّك اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّك النَّاسُ».

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، والترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١).

(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» (٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٢-٤٢٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٦٧١)، من قول لقمان الحكيم.

◈ هذا يدل علىٰ أن الزهد فيما ذُكر يعني: في الدنيا من أسباب محبة الله العبد، وإيثاره محابَّ الله عَزَّوَجَلَّ، والحرص علىٰ الإعداد للقائه، وعدم تعلُّقه بهذه الدار تعلُّقًا يعوقه عن الآخرة، ويعوقه عن الإعداد للآخرة.

والزهد فيها: قطع تعلُّق القلب بها، وتأثره بها، وإن عمل فيها، وإن زرع، وإن اتَّجَر، وإن فعل ما شرع الله له وأباح له، لكنَّ قلبه ليس معلَّقًا بها، بل هو معلّق بالآخرة.

فنزعها من القلب وتعليق القلب بالآخرة وإعداده للآخرة هو الزهد فيها، وليس معناه تركها، والإعراض عنها، وعدم الأسباب، لا، هذا إنما يظنُّه الجهلة من الصوفية.

◈ **وإنما المقصود:** عدم تعلُّق القلب بها تعلُّقًا يثبِّطه عن الآخرة، ويعوقه عما شرع الله له.

فهذا من أسباب محبة الله للعبد.

◈ **أما ما يتعلق بالناس:** فالزهد فيما في أيديهم، فإن زهد فيما في أيديهم، ولم يسألهم ما في أيديهم أحبوه ما دام ظاهره الخير، وهو مستقيم علىٰ طاعة الله، فإنه يحبه الناس، فإذا طلبهم ما في أيديهم وصار يسألهم كرهوا لقاءه، وكرهوا قربه، لئلا يسألهم، ولئلا يؤذيهم بطلب الحاجة.

◈ الزهد فيما في أيديهم من أسباب محبتهم له: إذا استقام علىٰ الخير، وأعرض عمَّا في أيديهم.

ولا يمنع هذا أن يسألهم عند الحاجة ما له حق كالزكاة، إذا دعت الحاجة إلىٰ ذلك، ولا يمنع هذا أيضًا من قرض.

فسيِّد الزُّهاد نبيُّنا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد اقترض مرّات كثيرة واستدان،

فالاستدانة والقرض ليست من الحاجة إليهم التي تُذِلُّه، والتي تُطلب فيها الزهد، إنما الذي يذِلُّه طلب الصدقة، وطلب الإحسان وطلب المساعدة.

أما كونه يحتاج إليهم بعض الأحيان في الاستدانة أو في القرض، أو في التعاون المشروع بين الناس، أو فيما يتعلق بالزكاة وهو من أهلها - يُنبِّههم إذا احتاج إلىٰ ذلك - ليس داخلًا في هذا.

❁ ❁ ❁

والحديث الثاني: **حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو سعد بن مالك بن أبي وقاص، سعد بن مالك بن أُهيب - المعروف - الزهري، رحمة الله عليه، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، يقول عن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».**

هذا الحديث يدلُّنا علىٰ أن من أسباب محبة الله للعبد أن يكون متَّقيًا، يتَّقي حرمات الله، ويحذر ما نهىٰ الله عنه، ويستقيم علىٰ أمر الله، هذا المتَّقي، هو المحافظ علىٰ أوامر الله، التارك لنواهي الله، المخلص لله في عمله، الصادق في عمله، هذا هو التَّقي: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

◈ «**الغني**»: غني القلب ليس غني المال، قد يكون غنيَّ المال وهو من أضلِّ الناس.

◈ **والمقصود**: غني النفس «**ليس الغنىٰ عن كثرة العرض ولكن الغنىٰ غنىٰ النفس**»، كما قاله النبي - عليه الصلاة والسلام.

يعني: غني القلب الذي لا يتعلَّق قلبه بما في أيدي الناس، ولا يتعلَّق قلبه بالدنيا، بل قد قنَّع الله له قلبه، ورزقه قناعة، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَدْ**

أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ»[١]. أخرجه الإمام مسلم في «الصحيح».

◈ «**الخفي**»: الذي لا يتعرَّض للشُّهرة، ولا يرغب في الشهرة، بل هو من عرض الناس، خفيًّا بين الناس، ليس ممن يقصد الدنيا، أو سمعتها أو رياستها أو الرِّياء فيها، أو ما أشبه ذلك، بل هو مجتهد في طاعة الله، مُعرِضٌ عما حرم الله، تارك لطلب الشُّهرة بين الناس، فهذا من محابِّ الله عَزَّوَجَلَّ.

لكن إذا اشتهر من دون قصد منه، اشتهر بطاعة الله أو بالعلم أو بالجهاد، فهذه بشرىٰ عجّله الله، عجّله الله له، وثوابٌ عجَّله الله له، ولا يضرُّ.

❁ ❁ ❁

الحديث الثالث: حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيه».

◈ هذا من حسن إسلام المرء، يعني: من حسن إسلامه وإيمانه؛ لأن الإسلام إذا أُطلق دخل فيه الإيمان: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، يعني: والإيمان، ومن حسن إسلام العبد، ومن حسن إيمانه إعراضه عمّا لا يعنيه، ويكفيه ما يعنيه، يكفيه اشتغاله بما أوجب الله عليه، بترك ما حرم الله عليه، واشتغاله بالفقه في الدين، واشتغاله بالإحسان إلىٰ الناس، والدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما أشبه ذلك مما ينفعه.

أما تدخُّله في شئون الناس، هذا يدلُّ علىٰ ضعفٍ في العقل، وقلَّةٍ في الفقه

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٣٠) (١٠٥٤) (١٢٥).

والبصيرة، وعدم كمال التقوىٰ، ولهذا قال: «**مِنْ حُسنِ إِسلامِ الَمرءِ تركُهُ مَا لا يَعنِيه**».

هذا من الزهد ومن الورع، أن تجتنب ما لا يعنيك، وأن تشتغل بما يعنيك.

❋ ❋ ❋

الحديث الرابع: حديث المقدام بن معد يكرب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ».

اختصره المؤلف وتمامه: «**بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

مراد المؤلف أن هذا من باب الزهد، ومن باب الورع، كونه يقتصد في الأكل، ولا يستكثر، هذا من الورع، لأنه قد يجرُّه كثرةُ الأكل إلىٰ ما لا ينبغي، فإذا اقتصد في الأكل والشرب كان هذا من باب الزهد والورع، حتىٰ لا يقع فيما لا ينبغي.

«**بحسب**»: يعني: يكفي ابن آدم.

«**لقيمات**»: وفي اللفظ الآخر: «**أُكُلات**»[1]، يعني: لُقَم.

«**يُقمن صلبه**»: يعني: يقمن قوَّته وبدنه.

«**فإن كان لا محالة**»: إن كان لا بدّ زائد علىٰ اللقيمات، فليكن ثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس، يعني: يجعل بطنه ثلاثة أثلاث: ثلثٌ للطعام،

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩).

وثلثٌ للشراب، وثلثٌ للنَّفَس؛ حتىٰ يكون نشيطًا قويًّا، ليس عنده ما يعوقه عن الحركة أو عن التنفُّس، بسبب أنه لم يستكثر من الطعام والشراب، وهذا من باب الفضل، ولو شَبِع لا بأس.

◈ الشِّبَعُ جائزٌ: إلا علىٰ وجه يضرُّه، الشِّبَعُ الذي لا يضرُّه لا بأس، ولهذا جاء في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما سقىٰ أهل الصُّفَّة اللَّبن وبقي النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «**اشرب يا أبا هريرة**». فشرب، فقال: «**اشرب**». فشرب، فقال: «**اشرب**»، فقال في الثالثة: «**لا أجد له مسلكًا**»[1]، يعني: رَوِيتُ.

فهذا يدل أنه لا بأس أن يشرب شُربًا كاملًا، أو أن يأكل أكلًا كاملًا، ولكن كونه يُخفِّف ويدع شيئًا من شهوته للأكل والشرب، يدع شيئًا هذا أفضل، حتىٰ يبقىٰ للتَّنفُّس مجال.

❋ ❋ ❋

الحديث الخامس: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

هذا الحديث الصحيح يدل علىٰ أن ابن آدم من شأنه الخطأ، ومن شأنه الذنوب، لكن دواؤها التوبة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، الخطأ لا بدَّ منه: «كلُّ بني آدم خطّاءٌ» تقع منه الزلة والهفوة، وإن كان من الصلحاء والأخيار، ولكن دواء هذا التوبة إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

فينبغي للمؤمن أن يحذر تزكية نفسه، وأن يقول: إنه ليس بمخطئ، أو إنه

(١) رواه البخاري (٦٤٥٢).

كذا، أو إنه كذا، بل يحذر، وليكن من ورعه أن يحذر تزكية نفسه، وليكن من زهده أن يتَّهم نفسه، ويعتقد أنه محلُّ الخطأ، حتىٰ يلجأ إلىٰ التوبة.

فالتزكية للنفوس ليست من الزهد والورع، بل من الغرور، واعترافه بالذنوب والخطايا هذا مما يدلُّ علىٰ ورعه، ويدلُّ علىٰ قوة إيمانه، حتىٰ يلجأ إلىٰ التوبة إلىٰ الله والاستغفار، والعمل الصالح، والازدراء علىٰ نفسه، ومعاتبتها، حتىٰ لا يقع في المحارم.

❁ ❁ ❁

الحديث السادس: حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا، قال: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ».

هذا حديث ضعيف، نُقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ضعيف، لا يصحُّ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال البيهقي: الصحيح أنه من قول لقمان الحكيم المعروف. الذي آتاه الله الحكمة، وهو رجل صالح ليس بنبيٍّ، كان يقول: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ».

وهذا كلام في محلِّه، كلام جيِّدٌ، فإن الإنسان إذا أكثر من الكلام كثُر سقطُه، وقلَّت سلامتُه.

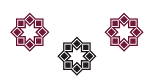
لكن متىٰ حافظ علىٰ قلَّة الكلام، ولم يتكلَّم إلا فيما يعنيه، وحيث ينفعه الكلام سَلِم، وهذا المعنىٰ يقول فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[١].

---

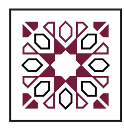
(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٧) (٧٤).

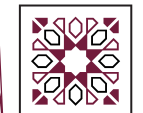
الصمت خير له من الكلام الذي يضرُّه، خير له من الكلام الذي لا فائدة فيه.

بل السنة للمؤمن أن يتحرَّىٰ لكلامه، وأن يقتصد في كلامه، فإن كان كلامه فيه فائدة تكلَّم، وإلا أمسك، هذا هو المشروع للمؤمن، والله أعلم. وفق الله الجميع.









بَابُ التَّرْهِيبِ مِنْ مَسَاوِئِ الأَخْلَاقِ

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ، وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ[١]، وَلِابْنِ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوُهُ[٢].

٢ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣].

٣ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٤].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٢١٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٦)، والبخاري (٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤) (٢٦٠٩) (١٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٥٤).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٥)، والبخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦) (٢٥٧٩) (٥٧)، والترمذي (٢٠٣٠).

٤ - وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١].

٥ - وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: الرِّيَاءُ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ[٢].

٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣].

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[٤].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٨٣)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦) (٢٥٧٨) (٥٦).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٨).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٧)، والبخاري (٣٣)، ومسلم (١/ ٧٨) (٥٩) (١٠٧)، والترمذي (٢٦٣١)، والنسائي (٨/ ١١٦).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٩)، والبخاري (٣٤)، ومسلم (١/ ٧٨) (٥٨) (١٠٦)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي (٨/ ١١٦).



◈ هذه الأحاديث في الترهيب من مساوئ الأخلاق، والشريعة الإسلامية جاءت بالترهيب من مساوئ الأخلاق، والترغيب في مكارم الأخلاق، والله بعث نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنزل كتابه بهذا الأمر.

فالقرآن أُنزل بالدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وأعظمها توحيد الله والإخلاص له وإفراده بالعبادة، هذه أعظم الأخلاق الكريمة.

وجاء الكتاب والسنة أيضًا بالتحذير والترهيب من مساوئ الأخلاق، وأخبثها وأعظمها جريمةً: الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

ولهذا أراد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا أن يذكر جملة من ذلك، نصيحة للمسلمين، وتوجيهًا للطالب الذي يقرأ هذا الكتاب إلىٰ هذه الأخلاق المذمومة ليحذرها، والأخلاق الكريمة كما يأتي ليفعلها.

فإن من أهم ما يلزم في حق الطالب أن يستقيم علىٰ الأخلاق الكريمة، وأن يبتعد عن الأخلاق الذميمة، حتىٰ يكون ممن قولُه يوافق عملَه، وعملُه قولَه، وممن تأثَّر بعلمه، فيكون ذلك أقرب لسعادته ونجاته وانتفاع الناس بعلمه.

◈ **ومساوئ الأخلاق هي:** الأخلاق المذمومة التي نهىٰ عنها الشارع، وحذَّر عنها، يقال لها: مساوئ، ويقال لها: سيئات، ويقال لها: خطايا، ويقال لها: ذنوب، ويقال لها: منكرات.

◈ **والمكارم هي**: ما دعا إليه الشارع ورغَّب فيه، سواء كان واجبًا أو مستحبًّا.

❁ ❁ ❁

الحديث الأول: **حديث أبي هريرة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»، **وهكذا رواية أنس عند ابن ماجه.**

◈ هذا فيه التحذير من الحسد، وهو من سيئ الأخلاق، وظلمٌ وتسخُّطٌ لقدر الله، واعتراض علىٰ حكمة الله، فالحاسد هو الذي يريد زوال النعمة عن أخيه، ويحب ذلك، ويرغب في ذلك، وقد تعظُمُ مصيبته ويكثر حسده حتىٰ يسعىٰ بفعله وقوله إلىٰ إزالة النعمة، وهذا لا شك أنه يدل علىٰ خبث النفس وظلمها وانحرافها، وعدم إيمانها الإيمان الصارف عن الباطل، والمعين علىٰ الحق لضعفه.

ولهذا حذر منه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»، هذا وعيد عظيم.

◈ وقد عرفه العلماء بأنه: محبة زوال النعمة عن أخيه.

◈ **ودواء ذلك وعلاجه**: أن يبتعد عن هذا، وأن يعالج نفسه ويجاهدها، حتىٰ يذكر أخاه بالخير، وحتىٰ يدعو له، وحتىٰ يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وحتىٰ لا يفعل شيئًا يؤذي أخاه، لا قولًا ولا فعلًا.

فإذا لم يُحقِّق هذا الحسد وصار مغلوبًا عليه عفا الله عنه، عليه أن يجاهد نفسه في هذا حتىٰ لا يقول شيئًا يضرُّ أخاه، ولا يفعل شيئًا يضرُّ أخاه، مع اجتهاده في صرفه عن قلبه وعن نفسه.

أما إن فعل، يعني: سعىٰ في ظلم أخيه قولًا أو عملًا، فإنه يكون حاسدًا ظالمًا حينئذ، جمع بين الحسد والظلم، نسأل الله العافية.

❋ ❋ ❋

والحديث الثاني: حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليسَ الشَّديدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَملِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».

◈ هذا فيه الترهيب من الغضب، وأن آفات الغضب كثيرة، قد يوقع في القتل، وقد يوقع في الضرب، وقد يوقع في السبِّ والشتم.

فالغضب شره كبير، فينبغي الحذر منه، فهو من مساوئ الأخلاق، كون الإنسان سريع الغضب، شديد الغضب، هذا من مساوئ الأخلاق، فينبغي الحذر من ذلك.

ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس الشديد بالصرعة**». يعني: الذي يصرع الناس ويطرحهم بقوَّته، ليس هذا هو الشديد في المعنىٰ الحقيقي الكامل، وإنما الشديد في الحقيقة: هو الذي يملك نفسه عند الغضب، وإن كان يسمىٰ شديدًا -الذي يصرع الناس يسمىٰ شديدًا، ويسمىٰ قويًّا- لكن أقوىٰ منه، وخير منه، الذي يملك نفسه عند الغضب.

وهذا مثل الحديث الآخر: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَافِ الَّذِىٰ يَطُوفُ عَلَىٰ النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَكِن المِسْكِينُ هُوَ الَّذِي لَا يَجِدُ مَالًا ولا يُفْطَنُ لَه فَيُتَصَدَّق عَليهِ ولَا يقومُ فَيَسأَل النَّاسِ**»[1]، هذا يسمَّىٰ مسكينًا، وهذا مسكين، كلاهما مسكين، لكن ذاك المتعفف أشدُّ وأولىٰ بهذا

(١) رواه البخاري (١٤٧٦)، ومسلم (٢/ ٧١٩) (١٠٩٣) (١٠١).

الاسم، وأحقُّ بهذا الاسم، وأحقُّ بالرعاية والصدقة.

فهكذا هنا: «**ليس الشديد بالصرعة**»، إنما الشديد أي: إنما القوي الممدوح، هو الذي يملك نفسه عند الغضب.

◈ **المقصود من هذا:** أنه ينبغي للمؤمن أن يعالج نفسه وأن يجاهدها عند الغضب، حتىٰ لا يشتد غضبه، بالوضوء الشرعي، بالجلوس إن كان قائمًا، بالقيام من المكان إلىٰ مكان آخر، بالاشتغال بشيء آخر مهما أمكن، يعني: يفعل ما يستطيع من أسباب إزالته.

◈ ومن أعظم ذلك التعوذ بالله من الشيطان «**أعوذ بالله من الشيطان**»؛ لأنه من الشيطان كما في الحديث الصحيح: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[(١)].

فالاستعاذة بالله من الشيطان والوضوء من الأسباب الشرعية لإزالة الغضب، وهكذا اشتغاله بشيء آخر، أو خروجه من المجلس، أو اضطجاعه وإعراضه عن الواقع، أو جلوسه إن كان قائمًا أو سائرًا، إلىٰ غير هذا من الأسباب التي يراها معينة له علىٰ ترك الغضب.

❁ ❁ ❁

والحديث الرابع: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **يقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الظلم ظلمات يوم القيامة**».

والحديث الخامس: حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيام**».

---

(١) رواه البخاري (٣٢٨٢)، ومسلم (٤/ ٢٠١٥) (٢٦١٠) (١٠٩).

◈هذان الحديثان يدلان علىٰ وجوب الحذر من الظلم، وهو يشمل الظلم بالقول والفعل وغيرهما من أنواع الظلم، يجب علىٰ المؤمن أن يحذر الظلم من جميع الوجوه، فلا يُشر بشيء يُعدُّ ظلمًا، ولا يفعل شيئًا يُعدُّ ظلمًا، ولا يقول شيئًا يُعدُّ ظلمًا.

بل يتحرَّىٰ العدل في أقواله وأعماله، ويبتعد عن الظلم في أقواله وأعماله وسائر حركاته، حتىٰ ولو بالإشارة؛ لأنها تُعدُّ عملًا.

يُسمَّىٰ الظلم ظلمات؛ لأنه يوجب له الظلمات يوم القيامة، وذهاب النور - نسأل الله «العافية»[1] -كلما زاد ظلمه زادت ظلمته يوم القيامة، وذهب نوره.

فيجب عليه الحذر من الظلم سواء كان بالضرب أو بالقتل أو بأخذ الأموال أو بالسَّبِّ أو بغير هذا من أنواع الظلم.

فيجب عليه أن يتحرَّىٰ القول الطيِّب والفعل الطيِّب، والكفّ عن إيذاء الناس وظلمهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ١٩]، وهذا وعيد عظيم، وعامٌّ، نسأل الله السلامة والعافية، وقال: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورىٰ: ٨]، فيجب الحذر.

◈لكن أعظم الظلم وأكبره الشرك، وهو المذكور في قوله جل وعلا: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، يعني: المشركين، قال

---

(١) ما بين القوسين ليست من الأصل، زدناها لاقتضاء السياق.

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]، فأعظم الظلم هو الشرك، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

◈ **ومن الظلم التَّعدِّي علىٰ الناس:** بالقول أو بالفعل، أو بأخذ المال أو بغير هذا من وجوه الظلم، فهو ظلمات يوم القيامة، فيجب الحذر منه، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كانَ عندهُ لأخيهِ مَظلَمةٌ مِن عِرْضٍ أو شيءٍ فَليتحلَّلْهُ اليَوم قبلَ أنْ لَا يَكونَ دِيَنار وَلَا دِرْهمٌ، فإنْ كَانَ لَه عَمَلٌ صالحٌ أُخذَ منْ حَسَنَاتهِ بقدرِ مَظلمتهِ، فإنْ لمْ يَكُنْ لَه حَسَنات أُخذَ من سَيئاتِ صاحبهِ وحُمِلَ عليهِ**»[١]. نسأل الله العافية.

وفي الحديث الآخر يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**مَا تعدُّونَ المفلسَ فيكُم؟**» قالوا: من لا درهم له ولا متاع. قال عليه الصلاة والسلام: «**لكنِ المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصوم وزكاة، ويأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، فيعطىٰ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته ولم يقض ما عليه، أخذ من سيئاتهم فطرح عليه، ثم طرح في النار**»[٢]- نسأل الله العافية - وهذا هو الخطر العظيم، نسأل الله السلامة.

«**واتَّقُوا الشُّحَ**»: حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم**»، زاد في الرواية الأخرىٰ عند مسلم: «**حملهم علىٰ أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[٣]. يعني: حملهم الشح والبخل علىٰ سفك الدماء،

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) واه مسلم (٤/ ١٩٩٧) (٢٥٨١) (٥٩).

(٣) رواه مسلم (٤/ ١٩٩٦) (٢٥٧٨) (٥٦).

واستحلال المحارم.

◈ **والشُّحُّ**: هو الحرص على المال، والجِدُّ في طلبه من كل طريق، سواء حلالًا أو حرامًا.

هذا الشحيح، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝﴾ [الحشر: ٩].

◈ **فالشحيح**: هو الذي يحرص علىٰ المال بكل وسيلة، ولا يبالي هل أخذه من طريق الحلال أو من طريق الحرام، لشدة حرصه عليه، ورغبته فيه.

◈ **والبخيل**: هو الذي يمنع إخراجه، يمنعه إذا حصَّله، إذا حصَّله لا يخرجه في وجوهه كالزكاة والنفقات الواجبة ونحو ذلك.

فكل شحيح بخيلٌ، وليس كل بخيل شحيحًا، فالواجب الحذر من ذا وذا، من الشح ومن البخل، وأن يكون حريصًا علىٰ تحريه الحق، وأخذ المال من وجهه، وصرفه في وجهه، وهو مسئول عن هذا، مسئول من أين اكتسب المال؟ وفي أي شيء صرف المال؟.

فينبغي له أن يكون متحرِّيًا في كسب المال، ومتحرِّيًا في صرف المال، حتىٰ يسلم من السؤال، من أين اكتسب؟ وفيما أنفق؟.

«وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُم عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُم، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُم».

قد يحملهم الحرص على المال علىٰ القتل، يقتله ويأخذ ماله، كما يقع لقطَّاع الطريق وغيرهم.

وقد يحمله علىٰ السرقة والخيانة لحبه للمال، ويحمله علىٰ قطيعة الرحم، وقطيعة أقاربه لحبه للمال، فلا يصلهم، ولا يحسن إليهم لحبه للمال.

وقد يظلمهم بأخذ بعض أموالهم، أو سرقة أموالهم، أو خيانة أموالهم، أو جحد أموالهم، كل هذا من آثار الشُّحّ، نسأل الله العافية.

❊ ❊ ❊

الحديث السادس: **حديث محمود بن لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: الرِّيَاءُ».**

◈ هذا فيه الحذر من الرياء، هو أخوف ما كان يخافه النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ أمته، ولا سيما الصالحون كالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنه يأتي الشيطان إلىٰ الصالح والعابد فيزين له أن يرائي بأعماله.

◈ فينبغي الحذر، ولو كان صالحًا قد يُبتلىٰ بالشيطان، فيقول له: لعلك تقرأ يسمعك فلان، ولعلك تصلي فيراك فلان، لعلك تأمر بالمعروف فيراك فلان فيمدحك، أو تنهىٰ عن المنكر فيمدحك، أو ما أشبه ذلك، هذا هو الرياء الذي خافه النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من الشرك، لكنه من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر إذا جرَّ صاحبه إلىٰ عبادة غير الله كالمنافقين، نسأل الله العافية.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا كما في نفس الحديث في آخره: «**اذهبوا** - يقول للمرائين يوم القيامة - **اذهبوا إلىٰ من كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء**»[1].

وفي الحديث الصحيح يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يُسَمِّعْ يُسَمعِ اللهُ بِهِ،**

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٣٦٣٠).

وَمَنْ يُرَائِي يرائِي اللهُ بِهِ»[١]. فيجب الحذر من الرياء.

والتسميع يكون في الأقوال، والرياء يكون في الأفعال كالصلاة، والتسميع يكون في الأقوال، كالقراءة والتسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك، فيجب الحذر من هذا كلِّه.

❁ ❁ ❁

والحديث السابع: **حديث أبي هريرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يقول** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**.

◈ هذه خصال أهل النفاق، وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في «الصحيحين»: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذا خَاصَمَ فَجَرَ**»[٢]، نسأل الله العافية.

◈ فيجب الحذر من صفاتهم وأخلاقهم الذميمة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقد ذمهم الله وعابهم في مواضع من سورة البقرة، ومن سورة براءة

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٢٨٩) (٢٩٨٧) (٤٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (١/ ٧٨) (٥٨) (١٠٦).

وغيرها، ومن سورة البقرة وغيرها.

◈ فيجب الحذر من أخلاقهم الذميمة، وصفاتهم المنكرة، وأن يكون المؤمن في غاية من العناية بالإخلاص لله، والثبات علىٰ الحق، والقول به، يرجو ثواب ربه، ويخشىٰ عقابه، لا رياء الناس، ولا حمد الناس، ولا ثناء الناس، رزق الله الجميع التوفيق والهداية.

❁ ❁ ❁

س: يرجع إلىٰ القلب أو الاعتقاد النفاق؟

ج: المنافقون قسمان: النفاق الأكبر هذا إلىٰ القلب - نسأل الله العافية - هذا الذي يكذب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويُظهر الإسلام، وهو يكذب الرسول، هذا في الدرك الأسفل من النار - نسأل الله العافية - هذا من النفاق الأكبر.

وأما هذا من النفاق الأصغر: الكذب في الحديث، والإخلاف في الوعد، هذا من النفاق الأصغر، لا يخرج به من الإسلام، لكن يكون مذمومًا.

س: لكن ما اعتقد الرياء «إنما الأعمال بالنيات»[١]؟

ج: لا، ولو ما اعتقد، ما دام راءىٰ الناس يدخل في النفاق، إذا كذب في حديثه، أو فجر في خصومته، أو شهد بالزور، كل هذا من أعمال المنافقين، ولو ما نواه، ولو فعله لحظِّ الدنيا.

(١) رواه البخاري.

س: **«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1]، المعنىٰ؟**

ج: علىٰ ظاهره، يعني: من أسباب ذهابها، ذهاب السيئات، يعني: إذا وُزِن بين السيئات والحسنات أكل الحسنات؛ لأن الحسنات والسيئات توازن يوم القيامة، كلُّ حسنةٍ تسقط بسيئة، نسأل الله السلامة.

س: أحسن الله إليك: الشحيح جامع، والبخيل مانع؟

ج: نعم، الشحيح يحرص ويمنع الجميع، كل شحيح بخيلٌ، وليس كل بخيل شحيحًا، قد يكون بخيلًا، لكن ما هو بحريص علىٰ جمع المال، ما له جهود، ما له جهود في جمعه؛ لأنه من حرصه يبخل، إذا أمسك المال صعب عليه إخراجه.

س: أحسن الله إليك الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: ٥٨] يعني: شارب الدخان إذا آذىٰ برائحته يدخل في هذا؟

ج: يُخشىٰ أن يدخل في هذا إذا قرب منهم، ودنا منهم يُخشىٰ، أو تعمَّد قصدَهم.



(١) رواه أبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢١٠)، وحسَّن إسناده الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٥)، وفي «سنن ابن ماجه» (٤٢١٠).

٨ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[١].

٩ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

١٠ - وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٣].

١١ - وَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٤].

١٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٥)، والبخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (١/ ٨١) (٦٤) (١١٦)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٧٠)، والبخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥) (٢٥٦٣) (٢٨)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (١٩٨٨).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥)، والبخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١/ ١٢٥) (١٤٢) (٢٢٧).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٩٣)، ومسلم (٣/ ١٤٥٨) (١٨٢٨) (١٩).

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

١٣ - وَعَنْهُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٢).

١٤ - وَعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٣).



◈ هذه الأحاديث كلُّها فيها الترهيب من مساوئ الأخلاق.

الحديث الأول: حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

◈ هذا يبين تعظيم حرمة السب والشتم واللعن. وأن الواجب على المؤمن أن يحذر ذلك، وأن هذا من الفسوق، ومن المعاصي المحرمة.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٣)، والبخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٠١٦) (٢٦١٢) (١١٢)، وأبو داود (٤٤٩٣)، والنسائي في «الكبرىٰ»(٧٣١٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٦)، والبخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠).

(٣) رواه البخاري (٣١١٨)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤١٠).

لأن الفسوق هو: الخروج عن الطاعة، والواجب علىٰ المؤمن أن يحذر ذلك، وأن يصون لسانه، ولا يكون سبَّابًا ولا لعانًا، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[١]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن المؤمن كقتله**»[٢]، فعظَّم الأمر حتىٰ جعله كالقتل، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»[٣].

◈ وفي هذا التحذير من القتال بغير الحق، وأنه من شعب الكفر، ولهذا في الحديث الآخر: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٤]، فقتل المؤمن بغير حق من أعظم الكبائر، ومن شعب الكفر التي حرمها الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان كفرًا دون كفر، وظلمًا دون ظلم، لكنه إذا كان من شعب الكفر كان أشدّ في التحريم، وأشدّ في وصف الكبيرة.

❁ ❁ ❁

وهكذا الحديث الثاني: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**».

يفيد أنه ينبغي للمؤمن أن يتحرىٰ الصدق في أموره، ويبتعد عن الظن واتهام الناس، بل يحمل الناس علىٰ المحامل الحسنة مهما كان ذلك، إلا أن تقوم البيِّنة والقرائن علىٰ ما يوجب ظن السوء، وإلا فالأصل البراءة والحذر من سوء الظن بغير الحق: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»، ويقول

(١) رواه الترمذي (١٩٧٧).

(٢) رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١/ ١٠٤) (١١٠).

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٦) (٥٢٩٨) (٨٦).

(٤) رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (١/ ٨١) (٦٥) (١١٨).

جل علا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢]. فالقرآن جعل بعض الظن إثم.

وفي الحديث: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**»، فالذي في الحديث: المراد به الظن الذي لا أساس له، ولا بيِّنة عليه، فهو أكذب الحديث.

والذي في الآية: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾، هو الظن الذي ليس عليه دليلٌ، بخلاف الظن الذي له دليل كالبينة، فإن من قامت عليه البينة العادلة ظُنَّ به السوء، قامت عليه البينة العادلة: بأنه زنىٰ، بأنه شرب مسكرًا، بأنه عقَّ والديه، فهو محلُّ ظن السوء، وقد تقوىٰ البينة حتىٰ يكون الأمر يقينًا، وكذلك من جالس أهل السوء، وقف موقف التُّهم، يُظن به السوء؛ لأنه فعل ما يوجب ذلك.

◈ فالآية لا تخالف الحديث، بل الحديث في معنىٰ، والآية في معناها، والواجب البعد عن ظن السوء، ما لم تكن هناك بيِّنةٌ أو قرينةٌ تدل علىٰ ذلك.

وفيه الحذر من مواقف التُّهم وصحبةِ الأشرار، فإن مواقف التُّهم وصحبةَ الأشرار توجب ظن السوء.

❋ ❋ ❋

والحديث الثالث: حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[1].

هذا فيه الحذر من غش الرعية، وأن الواجب علىٰ الملوك والأمراء

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٥)، والبخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١/ ١٢٥) (١٤٢) (٢٢٧).

وغيرهم ممن يتولىٰ شئون الناس كشيخ القبيلة وشبههم ممن له ولاة، الواجب عليه أن ينصح، وأن يؤدي الأمانة، ويحذر الغش، ولو كانت إمارته قليلة، ولو علىٰ قرية صغيرة، ولو علىٰ ثلاثة، ولو علىٰ أيتام، يجب عليه أن ينصح ويؤدي الأمانة، وإلا فهو متوعَّدٌ بدخول النار وحرمان الجنة.

وفي اللفظ الآخر: «**ما من أمير يسترعيه الله رعية ثم لا يجتهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة**»[1]. فهذا يدل علىٰ وجوب النصيحة وأداء الأمانة، وأن الواجب علىٰ الأمير، وإن كانت إمارته صغيرة، علىٰ قرية أو غيرها أن ينصح، ويتحرىٰ الحق، ويؤدي الأمانة، ويحذر غش رعيته وعدم النصح لهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❋ ❋ ❋

والحديث الرابع: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه»[2].

فهذا وعيد عظيم، فإن من شقَّ علىٰ الأمة متوعد بأن الله يشق عليه، فالجزاء من جنس العمل، فمن أحسن أُحسن إليه، ومن شقَّ علىٰ الناس وظلمهم استحق أن يُشق عليه، عقوبة له: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، من أَحسن أَحسن الله إليه، ومن آذىٰ الناس وشق عليهم فهو علىٰ خطر من عقاب الله العاجل والآجل.

وفي رواية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زيادة عند مسلم: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا**

---

(١) رواه مسلم (١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٨) (١٨٢٨) (١٩).

فرفق بهم فارفق به»[١]. فهذا يقابل المشقة، فمن شق شُقَّ عليه، ومن رفق رُفق به.

◈فالواجب علىٰ الأمير وعلىٰ من يتولىٰ شيئًا من شؤون رعيته كالوزير والقاضي، ومن عنده أيتام وولي الأيتام ونحو ذلك ممن له ولاية علىٰ شيء، الواجب عليه يرفق ويتحرىٰ الرحمة والإحسان وبذل المعروف، وأن يبتعد عن المشقة والأذىٰ والظلم والعدوان والخيانة.

❀ ❀ ❀



الحديث الخامس: كذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه»[٢].

يجب علىٰ من أقام الحدود أو التعزيرات أو ضرب ولده أو زوجته أو دابته أن يجتنب الوجه، لا يُضرب الوجه لا من الدابة ولا من الإنسان، لا في الحدود ولا في التعزيرات.

في اللفظ الآخر: «**فإن الله خلق آدم علىٰ صورته**»[٣]، يعني: فينبغي احترام الوجه، فالوجه له شأن، وهو يتأثر بكل شيء؛ لأن مادته رقيقة، فأقلُّ شيء يؤثِّر علىٰ الوجه، وهو في مقابل الناس فينبغي اجتنابه والحذر من إيقاع الأذىٰ به، حتىٰ ولو في الحدود، يكون في محلِّها اللائقة بها، ولا يكون الوجه محلَّ الضرب.

◈وليس معنىٰ الخلق علىٰ الصورة: التشبيه والتمثيل، فإن الله ليس له

---

(١) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٨) (١٨٢٨) (١٩).

(٢) رواه البخاري (٢٥٥٩)، ومسلم (٤/ ٢٠١٦) (٢٦١٢) (١١٢).

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٤/ ٢٠١٧) (٢٦١٢) (١١٥).

شبيه ولا نظير.

◈ **ولكن معنىٰ صورته:** أنه سميع بصير، يتكلم، وله وجهٌ، كما أن المخلوق له وجه، ويسمع ويتكلم ويبصر، فالله جل وعلا كذلك سميع بصير، يتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وله وجه، وله يدٌ، وله قدمٌ، وله أصبعٌ، لكن ليس هذا كهذا، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣-٤]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

❊ ❊ ❊

الحديث السادس: كذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سأله إنسان أوصني قال: «لا تغضب» فردد مرارًا قال: «لا تغضب»[1].

◈ فهذا فيه الحذر من الغضب، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتباعد عن أسبابه، وأن يحرص علىٰ إزالته إذا وقع، بالتعوذ بالله من الشيطان، وبالوضوء الشرعي، وبغير هذا من الأسباب التي يراها تعينه علىٰ ترك الغضب؛ لأنه متىٰ اشتدَّ غضبه قد يقع في معاطِبَ ومخاطر كثيرة، وقد وقع هذا من كثير من الناس، فكم من قتيل وقع بسبب الغضب؟! وكم من مظلوم بغير الحق وقع بسب الغضب؟! وكم من طلاق وقع بسبب الغضب؟! إلىٰ غير هذا.

فينبغي للمؤمن أن يتحرىٰ أسباب العافية منه، والبعد عن أسبابه، فإذا وقع فيه: فليبادر بالأسباب التي تطفئه، كالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن الوضوء الشرعي، ومن الهدوء، والخروج من المكان، أو السكوت، أو

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٦)، والبخاري (٦١١٦)، والترمذي (٢٠٢٠).

الجلوس، أو الاضطجاع، أو غير هذا من الأسباب التي يراها معينة له علىٰ تركه.

❁ ❁ ❁

وهكذا الحديث السابع: **حديث خولة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن رجالًا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»**[1].

◈ هذا فيه الحذر من التصرف في الأموال بغير حق؛ لأن المال من نعم الله، فالواجب أن يُصرف في وجهه، وأن يؤخذ من وجهه، فمن تصرَّف فيه بغير حقٍّ، في المعاصي والخمور والفساد وظلم العباد، فله النار يوم القيامة. نسأل الله العفو والعافية.

◈ فالواجب أن تصرف الأموال في جهتها التي يرضاها الله من الصدقة علىٰ الفقراء، من الإنفاق علىٰ والأولاد والزوجات كما شرع الله، من إقامة المشاريع الخيرية، من الجهاد في سبيل الله إلىٰ غير هذا من وجوه الخير.

أما إضاعتها في الباطل، أو يُستعان بها علىٰ المعاصي، فهذا مما حرمه الله، وفيه خطرٌ عظيمٌ علىٰ صاحب المال، نسأل الله العافية والسلامة.

❁ ❁ ❁

س: الغضب ما هو نوع من الجنون؟

ج: قد يشتد حتىٰ يكون جنونًا، نسأل الله العافية.

---

(١) رواه البخاري (٣١١٨)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤١٠).

س: أحسن الله إليك: اتقاء الوجه هل يقاس عليه الرأس؟

ج: لا، الوجه، النصُّ جاء في الوجه.

س: النهي عن ضرب الوجه هل هو للتحريم؟

ج: نعم، محرَّمٌ.

س: في بعض الناس إذا غضب علىٰ زوجته ما يلطم إلا في الوجه؟

ج: يُعلَّم ، الجهل يروج كثير، نعم: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، لا يستنكر الجهل يستنكر العلم والهدىٰ.

س: هل يجوز الوسم في الوجه؟

ج: كذلك الوسم من جنس الضرب، لا يجوز وسم الوجه، نهىٰ عنه النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)]، ولعن من وسم الوجه، عليه الصلاة والسلام[(٢)].

س: حكم تقديم الطعام للمعزيين؟

ج: ما أعرف فيه شيئًا، إذا كان حاضرًا ما تُكلِّف لهم، جاءهم طعامٌ، أهدي إليهم، وقدَّموه ما فيه بأس؛ لأن أهل الميت يُهدىٰ إليهم الطعام، فإذا جاء الطعام حاضر وجاء أناس معزون قُدِّم لهم ليأكلوا فلا بأس، لكن لا يصنعونه هم، لا يقيموا الولائم والمآتم هم، لكن إذا أهديت إلىٰ جارك طعامًا؛ لأنه مات لهم ميِّتٌ وقدموه للحاضرين ما في بأس.

(١) رواه مسلم (١٠٦) (٢١١٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٧) (٢١١٧).

س: إذا أعد الطعام هو صاحب الميت؟

ج: لا ما يجوز، هذا من الجاهلية من النياحة، ليس لهم أن يعدوا الطعام للناس، ولا أن يجمعوا الناس، ولا يقيموا مأتمًا، لكن السنة أن يُهدىٰ إليهم طعامٌ، يهدىٰ إليهم من جيرانهم من أقاربهم كما أمر النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهله أن يُهدوا آل جعفر طعامًا لما جاءه نعيه عليه الصلاة والسلام(1)، هذا هو السنة، فإذا قدموه لمن حضر وأكلوا منه فلا بأس.

س: لو كان في الحدود العادية يعني: جاءه جيرانه أو إخوانه وأكلوا معه؟

ج: ما في بأس إذا كانوا أكلوا من المُهدىٰ إليه لا يقيمون الطعام للناس، لا يصنعونه للناس، لكن إذا أُهدي إليهم فأكل معهم من حضر فلا بأس.

س: أحسن الله إليك الذي يحضر ليأكل أفيه شيء؟

ج: أو حضر ليأكل فلا بأس، إذا عرف أن عندهم طعامًا كثيرًا، وجاء أصحابه أو فقير جاء ليأكل فلا بأس.

السائل: عرفنا أنه منهي عنه، وأنه من النياحة؟

ج: لا يقيمونه هم، أما أكلهم مما أُهدىٰ إليهم لا بأس.

❋ ❋ ❋

---

(1) رواه أحمد في «المسند» (١٧٥١)، وأبو داود (٣١٣٢)، والترمذي (٩٩٨)، وابن ماجه (١٦١٠).

١٥ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيه عَنْ رَبِّهِ - قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُه بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[١].

١٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْت إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَه، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٢].

١٧ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَا - وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[٣].

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٤) (٢٥٧٧) (٥٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٩) (٧٠)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١١٤٥٤).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) (٣٢).

١٨ - وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. وَاللَّفْظُ لَهُ(١).

١٩ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ(٢).

٢٠ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ(٣).



◈ هذه الأحاديث كلُّها تتعلق بالترهيب من مساوئ الأخلاق، وتقدَّم لنا أن الله جل وعلا بعث نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وبالنهي عن سفاسف الأخلاق وسيِّئ الأعمال، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يجتهد بالتَّحلي بما أمر الله به من مكارم الأخلاق،

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١)، والحاكم (١/ ٥٣٢).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٩٤)، والترمذي (١٩٩٥).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٢)، والترمذي (١٩٦٢).

وأن يحذر ما نهاه الله عنه من سيِّئ الأخلاق.

◈ وأن المقصود من الأوامر والنواهي هو الامتثال، وأولىٰ الناس بذلك هم أهل الإيمان والتقوىٰ، أهل التصديق الذين يقولون ويعملون بخلاف من يقول ولا يعمل، ويتشبَّه بأعداء الله المنافقين، فالله عاب من فعل هذا، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقال سبحانه: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال عن نبيِّه شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

◈ فالمؤمن مأمور بالعناية بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والبعد عن مساوئ الأخلاق.

ولهذا وضع المؤلف هاتين الترجمتين: ترجمةِ «**الترهيب من مساوئ الأخلاق**» والترجمةِ الآتية في «**الترغيب من مكارم الأخلاق**».

ومن ذلك ما رواه أبو ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «**يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»[1].

◈ اقتصر المؤلف علىٰ هذه الجملة؛ لأن المقصود التحذير من الظلم؛ لأنه من أقبح مساوئ الأخلاق، ومن أخبث مساوئ الأخلاق؛ لما فيه من التَّعدِّي علىٰ الناس، إما بالقول، وإما بالفعل، وإما بهما جميعًا.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٤) (٢٥٧٧) (٥٥).

والله حرَّم الظلم علىٰ نفسه وهو قادر عليه، الصواب عند أهل السنة: أنه قادر عليه، لكنه لا يفعله.

والظلم: وضع الأمور في غير مواضعها.

وهو سبحانه قادر أن يدخل المؤمنين النار والكفار الجنة، لكنه لا يفعل هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنه وضعٌ للأمور في غير موضعها، ولهذا وعد الله المؤمنين الجنة، ووعد الكافرين النار؛ لأن هذا هو المناسب لعدله وحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال: «**إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦].

فهو جل وعلا منزَّهٌ عن ظلم عباده، وإنما يضع الأمور في موضعها، فيثيب من يستحق الثواب، ويعاقب من يستحق العقاب، وقد يعفو كرمًا وفضلًا عمن يجوز العفو عنه.

◈ فلا يليق بالمؤمن أن يكون ظلومًا، بل يجب الحذر من صفة الظلم، ولا سيما مع القدرة، يجب الحذر، وأن يعوِّد نفسه العفو والصفح والإحسان والجود والكرم.

❋ ❋ ❋

والحديث الثاني: يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أتدرون ما الغيبة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذكرك أخاك بما يكره»[1].

فهذا من الأخلاق السيئة، يجب الحذر من ذلك، فإن ذكر الغيبة قد يفتح

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٩) (٧٠)، وأبو داود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١١٤٥٤).

أبوابًا كثيرة من الشر، وقد يسبِّب فتنًا كثيرة، وعداوات وبغضاء، وقد يُفضي إلىٰ قتال.

◈ فإنَّ ذكرَ الخصال السيئة ونشرَها بين الناس يسبب البغضاء لصاحبها، ويسبب فتنًا بين المغتاب ومن اغتِيب، ولا سيما إذا علم ذلك، فقد يُفضي به ذلك إلىٰ المقاتلة والمضاربة لمن اغتابه، فيقول: إنه زَنَّان[1]، إنه عاقٌّ، إنه قاطعٌ، إنه كذا وكذا، حتىٰ ولو كان صادقًا قد يُفضي إلىٰ فتنة بينه وبين هذا الشخص، فلا تجوز الغيبة.

وهي: «**ذكرك أخاك بما يكره**»، وإذا كان فيك خير تنصحه، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، إلىٰ غير ذلك.

◈ أما ذكر خصاله الذميمة بين الناس، للتَّشفِّي أو لشيء في نفسك عليه، أو لأسباب أخرىٰ هذا هو الذي نهي عنه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذكرك أخاك بما يكره**». الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره.

قال أهل العلم: هذا فيمن يستر أعمالَه، ولا يتجاهر بها، أمَّا من أظهر فجوره ومعاصيه: فهذا لا غيبة له، إنما الغيبة في حق من تستَّر، ولم يُبدِ أعماله السيئة.

وفي نفس الحديث قيل: يا رسول الله - اختصره المؤلف- إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغتَبْته، وإنْ لم يكنْ فيهِ فقدْ بَهتَّه**».

فالمغتاب إن كان مصيبًا فقد اغتاب أخاه، وإن كان كاذبًا فقد بهت أخاه،

---

(١) لعلها: «زانٍ».



وجمع بين الشَّرَّين.

◈فالواجب الحذر من ذلك، وأن يعتاد المؤمن النصيحة والتوجيه بالأساليب الحسنة، ويحذر الغيبة.

❁ ❁ ❁

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَا هُنَا» وأشار إلىٰ صدره، يعني: إلىٰ القلب، التقوىٰ في القلب: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١).

فالنبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذَّر عن هذه الأخلاق الذميمة، ونهىٰ عنها، عليه الصلاة والسلام: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا**».

◈والحسد معروف: وهو محبة زوال النعمة عن أخيك، فإذا حسدك لا تحسده أنت، كن أطيب منه، وخيرًا منه.

«**ولَا تَنَاجَشُوا**»: وهي الزيادة في السلع في الثمن، وأنت لا تقصد الشراء، ولكن للعبث أو لمحبة صاحب السلعة، لعلها تزيد، أو لأنك تعلم أن فلانًا راغب فيها فتريد أن تشق عليه، إلىٰ غير ذلك.

«**ولا تباغَضُوا**»: والمراد: النهي عن أسباب التباغض، من المسابَّة، أو الكذب، أو الدعاوي الباطلة، أو غير ذلك.

«**ولا تدابروا**»: وهو شدَّة البغضاء، إذا رآه أدبر عنه.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) (٣٢).

«**ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض**»: لأنه يفضي إلىٰ الشحناء أيضًا، بيعه علىٰ بيع أخيه، وشراؤه علىٰ شراء أخيه يفضي إلىٰ البغضاء والشحناء، وهو من الأسباب.

◈ ومعنىٰ ذلك إذا رأيته باع علىٰ زيد سلعة ذهبت إليه -إلىٰ المشتري- وقلت: أنا أبيعك خيرًا منها بمثل هذا الثمن أو مثلها بأقل من هذا الثمن، لا تعرض هذا، دعه «**دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض**»[(١)].

◈ والشراء علىٰ شرائه كذلك، سمعت أنه اشترىٰ سلعة بكذا وكذا، فتذهب إلىٰ البائع، وتقول: أنا أشتريها منك بأكثر مما اشتراها فلان، تريد أنه يُهوِّن ويبع عليك.

كلُّ هذا مما يسبب البغضاء والعداوة بين الناس، فلا تبع علىٰ بيعه، ولا تشتري علىٰ شرائه، ولا تسُمْ علىٰ سومه أيضًا، إذا رأيت أن البائع قد مال إلىٰ البيع فلا تسُمْ علىٰ سومه.

أما إذا كان في سوقٍ: من يزيد؟ من يزيد؟ تزيد، أما إذا سام بعد سومه ورأيت صاحب السلعة قد مال إليه أو قال نصيبك أو ما أشبه ذلك فلا تسم علىٰ سومه، لأنه قد مضىٰ الأمر.

«**وكونوا عباد الله إخوانًا**»: يعني: متحابِّين متعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، متناصحين لا متنازعين، ولا متباغضين، ولا متدابرين، ولا متحاسدين، إلىٰ غير ذلك من أسباب الشر.

ثم قيَّد هذا بقوله: «**المسلم أخو المسلم**»، تأكيدٌ للمقام، «**لا يظلمه، ولا**

---

(١) رواه مسلم (٢٠) (١٥٢٢).

يكذبه، ولا يخذله، ولا يحقره»، بل يحترمه ويعرف له حقَّه، ولا يكذب عليه، ولا يخذله في موضع يحتاج إلىٰ نصرته، إذا رأىٰ من يظلمه ينصره، ويعينه للدفاع عنه بالحق.

ثم قال: «**التقوىٰ ها هنا**»، يعني: المصيبة إذا وقعت في القلب نشأ عنها هذا الشر الكثير، صار القلب ضعيف الإيمان، أو منحرفًا عن الطريق، وقعت من الإنسان هذه الشرور، وإذا قوي الإيمان في القلب، واستقام القلب علىٰ طاعة الله، انبعثت الجوارح بالخير والهدىٰ والصلاح.

◈وقد يسيء بعضُ الناس الفهم، فإذا نُصح في الله، وأُمر بالمعروف، ونُهي عن المنكر، قال: الإيمان في القلب، يعني: ما عليك مني؟!

وهذا غلطٌ عظيمٌ، الإيمان في القلب هو الذي يبعث علىٰ الخير، لو كان إيمانك في قلبك صحيحًا لانبعثت الجوارح للخير.

◈فإذا قيل له: لا تحلق لحيتك، أو لا تتكاسل عن الصلوات، صلِّ مع الجماعة، أو لا تسحب ثيابك، قال: الإيمان في القلب، يردُّ الحقَّ بهذا الكلام الباطل، لو كان إيمانك في قلبك صحيحًا أو كاملًا لمنعك من هذا العمل السيئ، لمنعك من الإسبال، لمنعك من النميمة، لمنعك من الغيبة، لمنعك من التساهل في أداء الجماعة، لمنعك من حلق لحيتك، لمنعك من سائر المعاصي، فهذا حجة عليك، الإيمان في القلب حجة عليه ما له.

الإيمان في القلب هو الذي يبعث علىٰ الخير، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**»، فلو كان إيمانك صحيحًا في قلبك لصلح أمرك،

ولاستقامت أحوالك، ولانبعثت جوارحك بالخيرات، ولكن ميل القلب وانحراف القلب هو الذي سبب هذه المفاسد، وهذه الشرور، وهذه المعاصي.

وهكذا في الحديث الآخر، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم، ولا إلىٰ أموالكم، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم**»[1].

◈فقول بعض العصاة: الإيمان في القلب يردُّ به علىٰ من أنكر عليه المنكر قولٌ فاسدٌ، وقولٌ باطلٌ، ومعارضةٌ للحق برأيه الفاسد، وكلامه الباطل، نسأل الله العافية.

«**كل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**». قبله «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»، يعني: يكفيه في الشر أن يحقر أخاه، ويَرىٰ أنه أفضل منه، وأن هذا مسكين كذا وكذا.

وما يدريك؟ قد يكون عند الله أفضل منك وأنت لا تدري، فعليك أن تتقي الله، وألا تحقر أخاك، بل تعرف له قدره، وتنصفه وتعطيه حقه، ولا تغتبه ولا تحقره ولا تكذبه، إلىٰ غير هذا من الخصال الذميمة.

«**كل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه وماله وعرضه**»: هذا كلامٌ عظيمٌ، من جوامع الكلم، «**كل المسلم علىٰ المسلم حرام دمه**»، فلا يقتله ولا يجرح بشرته.

◈وكذلك ماله: محترمٌ، لا يسرقه، ولا يغصبه، ولا يخونه، إلىٰ غير ذلك.

◈وعرضه كذلك: لا يغتابه، بل يجب عليه أن يحترم نفسه وبشرته وماله وعرضه.

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٧) (٢٥٦٤) (٣٤).

وهكذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الآخر: «لا تماري أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده عِدَةً وتخلفه»[1]، وإن كان فيه ضعفٌ، لكن الشواهد من الأدلة الأخرىٰ تدل علىٰ ذلك، وأنه لا ينبغي المماراة والتوسع فيها، والممازحة.

◈ أما المزح القليل، والشيء القليل، والمماراة القليلة، ليس فيها إسراف فلا بأس، المجادلة والمماراة القليلة التي لا تفضي إلىٰ الشحناء والعداوة، بل يجادله قليلًا بالتي هي أحسن، ويماريه بالتي هي أحسن، في إظهار الحق وطلب الحق لا بأس.

◈ أما إذا أفضىٰ إلىٰ الغضب وإلىٰ المخاصمة بسوء الكلام فليدع ولينصرف، وليدع هذه المجادلة.

◈ **كذلك الممازحة**: تكون بالحق، والكلام الطيِّب، والأسلوب الحسن، أمَّا إذا زادت، وصار فيها مبالغة: فينبغي تركها؛ لأنها قد تفضي إلىٰ الشحناء والعداوة والبغضاء.

◈ **وهكذا الموعد**: لا يخلفه، إذا وعده موعدًا فليجتهد في صدقه والوفاء به، وألا يتشبَّه بأعداء الله المنافقين الذين إذا وعد الواحد منهم أخلف، من صفاتهم أنهم إذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، وإذا حدَّثوا كذبوا، فينبغي للمؤمن أن يتباعد عن صفاتهم.

والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مزَحَ، ولكن بلحظ الحق والقليل، عليه الصلاة والسلام.

◈ **فالجدال كذلك**، الله قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فإذا كان بالتي هي أحسن، وليس فيه ظلم فلا بأس، وإذا زاد وتعدَّىٰ مُنع،

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٤٩)، والترمذي (١٩٩٥).

ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، حتىٰ أهل الكتاب حتىٰ اليهود والنصارىٰ.

❁ ❁ ❁

كذلك حديث: «خصلتان لا تجتمع في مؤمن البخل وسوء الخلق»[(١)]، وإن كان في سنده ضعفٌ، لكن هاتان خصلتان ذميمتان، قد دلت الأدلة الشرعية علىٰ ذمهما: البخل وسوء الخلق.

◈ فالواجب علىٰ المؤمن ألا يبخل، وحذَّر من البخل، وحذَّر الرسول من البخل، عليه الصلاة والسلام.

والبخل: منع الواجب، فعليك أن تؤدي الواجب، وإذا زاد علىٰ ذلك فجاد وتفضَّل وأحسن بالتَّطوع صار أكمل.

وسوء الخلق: التَّعبُّس وسوء الكلام، يخاطب الناس بسوء الكلام، وبالاكفهرار وسوء المقابلة، فالواجب علىٰ المؤمن أن يحذر ذلك، يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[(٢)]، وفي اللفظ الآخر: «**طليق**» هكذا المؤمن يقابل بالمقابلة الحسنة، بالمباشرة الحسنة، بالكلام الطيِّب، لا يكون سيئ الخلق، يغضب عند أقل شيءٍ، يُعنِّف في الكلام، يكفهِرُّ في وجه أخيه بغير حق، كلُّ هذا ليس من صفات المؤمنين.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٢)، والترمذي (١٩٦٢).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) (٢٦٢٦) (١٤٤).

◈ فالمؤمن: بشوشٌ، طليق الوجه، طيِّب الكلام، طيِّب الأسلوب، فلا ينبغي له أن يخالف هذه الأخلاق الطيبة، ويسلك المسالك الأخرىٰ الرديئة، التي تسبب نفرة أخيه منه، وبُعد أخيه منه، وبغضه له، ولا حول ولا قوة إلا بالله. والله أعلم.

❁ ❁ ❁

حديث قطبة بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو: «اللهم جبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء».

كذلك هذا من الدعاء الحسن: «**اللهم جبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**» وفي رواية: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء**»[(١)] ، هذه كلماتٌ جامعةٌ، يستحب الدعاء بهذا الدعاء العظيم، لما فيه من الخير العظيم، والكلمات الجامعة: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»، أو «اللهم جبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»، نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁

س: هل يرد المسلم عن عرض أخيه إذا كان فاسقًا؟

ج: إذا كان قد أعلن لا يردُّ عنه، إنما يردُّ عن أخيه المستور «**من رد عن عرض أخيه رد الله عنه النار يوم القيامة**»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٩) (٢٧٥٣٦)، الترمذي (١٩٣١).

أما من أظهر الفسوق ما له غيبة، من أظهر الفجور، يشرب الخمر في الأسواق، يلعن الناس في الأسواق وأشباه ذلك، هذا إذا قيل عنه ما أظهره ليس بغيبة.

س: **إذا كان متسترًا؟**

ج: لا، هذا هو الغيبة، يردُّ عنه.

س: **أحسن الله عملك: كلمة حق يريدون بها الباطل، من يقول التقوىٰ ها هنا ويشرب الدخان؟**

ج: اتركه هو وغيره، اتركه هو وغيره.

س: **أقول أحسن الله إليك: هل يعتبر نوع من أنواع الإرجاء هذا الكلام؟ من يقول التقوىٰ في القلب، هل يعتبر مرجئ؟**

ج: لا، يعتبر ظالمًا لنفسه، مسيئًا للإجابة، كان ينبغي له أن يشكره، جزاك الله خيرًا، أسأل الله أن يهديني، الله يعيذني من الشيطان، ادعو الله لي يا أخي.

◈ هكذا ينبغي أن يقول في الكلام، ما يقول التقوىٰ ها هنا، لو قال: اللهم اهدني، أو ادع الله لي بالهداية، أو اسأل الله لي التوفيق، أو ما أشبه ذلك، أو جزاك الله خيرًا، هذا هو الجواب الصحيح، ولو كان إيمانه في القلب لاستقام.



٢١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٢ - وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ(٢).

٢٣ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ(٣).

٢٤ - وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ». وَحَسَّنَهُ. وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ(٤).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٠) (٢٥٨٧) (٦٨)، وأبو داود (٤٨٩٤)، والترمذي (١٩٨١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٣)، وأبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠)، وابن ماجه (٢٣٤٢).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٤)، والترمذي (٢٠٠٢).

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٢)، والترمذي (١٩٧٧)، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٩٢ - ٩٣)، والحاكم (١/ ١٢).

٢٥ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[1].

٢٦ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

الشَّرْح

◈ هذه الأحاديث أيضًا الستة كلُّها مما يتعلق بالتحذير من مساوئ الأخلاق، والترهيب مما حرم الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومما يتعلق بالأخلاق الذميمة، التي تسبِّبُ الشحناء والعداوة، وتغضب الله عَزَّوَجَلَّ.

◈ **منها:** السبُّ والشَّتم، وتقدَّم حديثُ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث قال: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[3]، وتقدَّم حديث: «**لعن المؤمن كقتله**»[4].

(١) رواه وأحمد في «المسند» (٦/ ١٨٠)، والبخاري (١٣٩٣)، والنسائي (٤/ ٥٣).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٢)، والبخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١/ ١٠١) (١٠٥) (١٦٩)، وأبو داود (٤٨٧١)، والترمذي (٢٠٢٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٥٥٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٥)، والبخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (١/ ٨١) (٦٤) (١١٦)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩).

(٤) واه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١/ ١٠٤) (١١٠).

◈ فالسبُّ والشَّتم: من أعظم الأسباب في حصول البغضاء والفتن.

◈ ويجوز للمسبوب أن يقتصَّ من غير زيادة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَىٰ الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**»، فهذا يبيِّن لنا أن السَّابَّ يتحمَّل إثمه وإثم أخيه، كل ما جرىٰ بسبب سبِّه فهو عليه، هو الآثم، ما لم يعتدِ عليه المظلوم، فإذا سبَّه، وقال مثلًا: أخزاك الله، أو قاتلك الله، فقال له مثل ذلك: بل أنت قاتلك الله، أو بل أنت أخزاك الله، فهذا لا شيء عليه، لأنه اقتص.

أو قال: لعنك الله، فقال: أنت لعنك الله، يقتصُّ، فهذا لا شيء عليه، والإثم علىٰ الأول، علىٰ البادئ.

لكن إن اعتدىٰ المظلوم فزاد [عليه]، فعليه إثم زيادته، فإذا قال ذاك: لعنك الله، فقال: بل أنت لعنك الله مرتين أو ثلاثا، فعليه إثم الزيادة، وهكذا لو قال: أخزاك الله، فقال: بل أنت أخزاك الله ولعنك، فعليه إثم الزيادة، وهكذا ما أشباه ذلك، ولهذا قال: «**الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَىٰ الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**».

فالمظلوم إذا اعتدىٰ عليه إثم اعتدائه، وأما الشيء الذي قاله مقابلة من دون زيادة فإثمه علىٰ الأول.

❊ ❊ ❊

حديث أبي صِرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ضارَّ مسلمًا ضارَّه الله يوم القيامة، ومن شاقَّه شقَّ الله عليه»[1].

هذا فيه التحذير من إيذاء المسلمين، ومضرَّتهم والمشقَّة عليهم، سواء

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٥٣)، وأبو داود (٣٦٣٥)، والترمذي (١٩٤٠)، وابن ماجه (٢٣٤٢).

كان من أميرٍ أو من شيخِ قبيلةٍ أو من أخيهِ أو من زوجةٍ أو من ولدٍ أو من غير ذلك.

◈الواجب الحذر، الواجب علىٰ المؤمن ألا يؤذي إخوانه، لا بكلامٍ ولا بفعالٍ ولا بخصومةٍ، بل يتحرَّىٰ العدلَ في كل الأمور، ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يعني: بغير جُرْمٍ ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

فهذا يدل علىٰ عظم الخطأ، وأنه احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا، بسبب إيذائهم بغير جريمة من المؤذىٰ، ولهذا قال: ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾.

وفي هذا الحديث: أن الله يضرُّهم ويشقُّ عليهم كما شقوا علىٰ إخوانهم وآذوا إخوانهم.

◈وفي الباب أحاديث كثيرة تدل علىٰ أنَّ المؤذيَ والشاقَّ والمضارَّ متعرضٌ لعقوبة الله، ومتعرض لغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتىٰ أخبر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ: «**لعن المؤمن كقتله**»[(١)]، هذا يدل علىٰ عظم الجريمة.

◈**والسبُّ**: أخبر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه فسوق، وقال: «**سباب المسلم فسوق**»[(٢)]، وقال النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ليس المؤمن بالفاحش ولا البذيء**»[(٣)]، وقال: «**ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء**»[(٤)].

(١) رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١/ ١٠٤) (١١٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٥)، والبخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (١/ ٨١) (٦٤) (١١٦)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩).

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٧).

(٤) رواه الترمذي (١٩٧٧).

كل هذا يبيِّن أنه ينبغي للمؤمن أن تكون أخلاقه كريمة، وأن تكون كلماته طيبة، وأن يبتعد عن الفحش والبذاء والطعن والسب. لأن هذا يسبِّب:

◈ **أولًا**: غضب الله.

◈ **ويسبِّب ثانيًا**: الإثم واكتساب السيئات.

◈ **ويسبِّب ثالثًا**: الشحناء والعداوة والبغضاء، وقد يجرُّ ذلك إلىٰ المقاتلة وإلىٰ المضاربة، وإلىٰ ما هو أكبر من ذلك.

فوجب علىٰ المؤمن أن يحفظ لسانه، وأن يصونه إلا من الخير، ولهذا يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[(١)]، هكذا يكون المؤمن إما خيرًا يتكلم به، وإما خيرًا يفعله، وإما الإمساك وعدم التكلم فيما يضره ويغضب الله عليه.

❋ ❋ ❋

كذلك حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلىٰ ما قدموا».

فالواجب علىٰ المؤمن أن يحذر ذلك، فقد أفضىٰ إلىٰ ما قدَّم، والله جل وعلا هو أحكم الحاكمين، وهو الحكم العدل، فلا حاجة إلىٰ سبِّ الأموات.

وفي اللفظ الآخر: «**فتؤذوا الأحياء**»[(٢)]؛ لأنه إذا سبَّه وله أولاد أو إخوة أو

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٧) (٧٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٥٢) (١٨٢٠٩)، والترمذي (١٩٨٢).

أعمام قد يتأذَّون بذلك، وقد يقع في نفوسهم شيءٌ من ذلك.

ويُروىٰ عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: «لا تؤذوا عكرمة بأبيه»، عكرمة بن أبي جهل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أسلم.

◈ **فالمقصود:** أن سبَّ الأموات قد يؤثِّر علىٰ الأحياء، كما أنه أيضًا لا وجه له، ولا موجب له، وقد أفضوا إلىٰ ما قدَّموا.

لكن قد يحتجُّ بما ورد في بعض الأحاديث من سبِّ بعض الأعيان إذا كان ذلك مما يعين علىٰ ترك الفتنة التي أتىٰ بها، والبدعة التي دعا إليها ونحو ذلك.

فإن بعض أهل العلم استثنىٰ ذلك إذا كان الميِّت له أتباعٌ وهو صاحب فتنة صاحب بدعة، فيُسبُّ لأجل ما أحدثه من البدعة وأظهره من البدعة، بمعنىٰ أنه يُذَّم ويعاب علىٰ بدعته حتىٰ يحذر الناس اتباعه والاقتداء به، كسب الجهمية «جهم بن صفوان، والجعد بن درهم» وأعيان المعتزلة، وأعيان الخوارج، إذا سمُّوا من باب التحذير من بدعهم وأعمالهم الخبيثة وما جرُّوا علىٰ المسلمين من الشرور العظيمة، هذا هو وجه من استثناء هؤلاء،، لخبثهم وضلالهم بخلاف عامة الأموات الذين لا يترتَّب علىٰ سبِّهم فائدة.

◈ وقد يحتجُّ بعض الناس علىٰ ما وقع في القرآن من سبِّ فرعون وسبِّ غيره من صناديد الكفرة، وما جاء في السنة من سبِّ بعض الكفرة، وهم بعد قد ماتوا، كما في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**من ترك الصلاة ولم يحافظ عليها يحشر يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي ابن خلف**»[1]، وهذا معناه الذَّمُّ لهم والعيب لهم، لأن الذَّمَّ ليس معنىٰ

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩) (٦٥٧٦).

السَّبِّ، أن يقول: لعنهم الله، كل ما كان فيه ذمٌّ فهو سبٌّ، باللعن أو بالصفات الذميمة أو بأشباه ذلك، ولهذا يقول جل وعلا في شجرة الزقوم: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، فسمَّاها ملعونة، والذي في القرآن إنما هو ذمُّها وعيبها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣-٤٦]، فسمىٰ ذمَّها لعنًا لها.

فاللعن هو: ذمُّ الشيء وسبُّه وبيان خبثه.

◈ **فالمقصود:** أن الأصل هو عدم السبِّ للأموات، إلا إذا ترتب علىٰ سبِّهم مصلحة للمسلمين، وتحذيرٌ لهم من فتنة المسبوب، وما دعا إليه من البدع والشرور التي اشتهر بها. نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁

وحديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يدخل الجنة نمام»[1]**، وهذا فيه تحريم النِّمامة.**

◈ **والنِّمامة:** هي نقل الكلام السَّيِّئ من قوم إلىٰ قوم، أو من قبيلة إلىٰ قبيلة، أو من أهل بلد إلىٰ أهل بلد، أو من شخص إلىٰ شخص؛ لأنها تُثير الشرَّ، وتُثير الفتن، وربما حصل بها ما لا تُحمد عقباها: من القتال والشرور الكثيرة.

فالنِّمامة: منكرة، ولهذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا يدخل الجنة نمَّام»**، وفي اللفظ الآخر: **«قتَّات»**[2].

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٠١) (١٠٥) (١٦٨).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥) (١٦٩).

والقتات: هو النمام، فينبغي الحذر من ذلك، ونصيحة من وقع في شيء من ذلك، والإنكار عليه، لنهي النبيِّ عن هذا، عليه الصلاة والسلام؛ ولأنه يترتب علىٰ ذلك من الشرور والعواقب الوخيمة ما لا يخفىٰ علىٰ من عرف أحوال الناس، نسأل الله السلامة.

٢٧ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ». أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»[(١)]. وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا[(٢)].

٢٨ - وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ[(٣)].

٢٩ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». يَعْنِي: الرَّصَاصَ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[(٤)].

---

(١) رواه أبو يعلىٰ (٤٣٣٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٥٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢١).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٤)، والترمذي (١٩٤٦)، وابن ماجه (٣٦٩١).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٦)، والبخاري (٧٠٤٢)، وأبو داود (٥٠٢٤)، والترمذي (١٧٥١).

٣٠ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ». أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(١).

٣١ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ، وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ(٢).

٣٢ - وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ(٣).



◈ هذه الأحاديث الستة أيضًا فيها وصيةٌ وحثٌّ علىٰ ما يوافق الأخلاق الكريمة، وترهيب مما يخالف ذلك، فيها الترهيب من مساوئ الأخلاق، وفي ضمن ذلك حثٌّ علىٰ مكارم الأخلاق.

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كفّ غضبه كفّ الله عنه عذابه»(٤).

---

(١) رواه البزار (٦٢٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٠٧٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٠١٢)، وحسنه.

(٤) رواه أبو يعلىٰ (٤٣٣٨)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٥٨).

◈هذا من مكارم الأخلاق:كفُّ الغضب، لكن ضده وهو: عدم كفِّ الغضب، من مساوئ الأخلاق.

الإنسان يطيع غضبه وينفِّذ غضبه هذا من مساوئ الأخلاق، وله شاهد من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فهذا يدل علىٰ أن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال أن تكُفَّ غضبك، وأن تجاهد نفسك في ذلك؛ لأن الغضب نارٌ من الجوف، تحمل علىٰ ما لا ينبغي، والمجاهدة في كف الغضب، والعناية بهذا الأمر مما يحول بينك وبين شرٍّ كثير.

وتقدّم قول الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب**». والحديث الآخر: أن رجلًا قال: أوصني. قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا، قال: «**لا تغضب**». رواه البخاري.

فكلُّ من جرّب الغضب عرف شرَّه وسوءَ عاقبتِه لمن لم يجاهد نفسه، فكم من فتنة قامت بسبب الغضب؟ وكم من قتل وضرب وإتلاف أموال وطلاق وغير ذلك؟ كل ذلك بأسباب الغضب.

الله يقول – جل وعلا – في كتابه العظيم في وصف أهل الإيمان: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورىٰ: ٣٧]، يجاهدون هذه النفوس حتىٰ يكفُّوا غضبها، يقول – جل وعلا – في وصف المتَّقين: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

◈فينبغي للمؤمن أن يجاهد هذه النفس حتىٰ يكظم غيظه، وحتىٰ لا يُنفِّذ غضبَه.

الحديث الثاني: يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خَبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»

هذا فيه الحذر من هذه الخصال الذميمة، وهذا ترهيب من مساوئ الأخلاق.

والخَبُّ: الخدّاع المكّار، الذي يخدع الناس بأقواله وحيَله حتىٰ يأخذ أموالهم بغير حقٍّ، أو يوقعهم في باطل.

والبخيل معروف، الذي يمنع الحق بشُحِّه.

«ولا سيِّئ الملكة»: الذي يسيء إلىٰ مماليكه، مَلَكَة - بالفتحات كما في «القاموس» - يعني: يُسيء إلىٰ من يملك من عقلاء وبهائم، فهذا متوعَّدٌ.

◈ والواجب علىٰ المؤمن أن يتَّقي الله فيمن يملك؛ سبق في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**»[(١)]، تقدّم في النفقات، وفي اللفظ الآخر: «**أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ**». وهو في مسلم[(٢)]، وهو يدل علىٰ تحريم الإساءة إلىٰ المماليك، لا بحبس النفقة، ولا بغير هذا مما يُسيء، كالضرب بغير حقٍّ أو القتل أو ما أشبه ذلك.

وتجويع المماليك من الأرقّاء أو البهائم تجويعها أو ضربها بغير موجبٍ أو ما أشبه ذلك من الأذىٰ أمرٌ ممنوع، وهو من سوء الملكة، وهذا من باب الوعيد.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٥)، وأبو داود (١٦٩٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩١٧٧).

(٢) رواه مسلم (٢/ ٦٩٢) (٩٩٦) (٤٠).

◈ ما يجيء في النصوص: لا يدخل الجنة من فعل كذا، أو حرمَّ الله الجنة علىٰ من فعل كذا، هذا من باب الوعيد.

◈ وقد تقرَّر: أنَّ كلَّ ما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كل ما دون الشرك من المعاصي فهو تحت مشيئة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إن شاء غفر سبحانه وإن شاء عذب، ومآل المؤمن إلىٰ الجنة، مآل الموحِّد إلىٰ الجنة.

ولهذا قال بعض أهل العلم: «لا يدخل الجنة»، يعني: من أول وَهْلَةٍ.

ولكن لا حاجة إلىٰ هذا، هو من باب الوعيد، للتحذير من هذه الأخلاق، والترهيب منها، ثم صاحبها تحت مشيئة الله، ما لم يخرج عن الإسلام بشيء من الشرك والرِّدَّة، ولهذا يقول سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهو مع كونه مستحقًّا للوعيد كالزاني والسارق والعاقِّ والقاطع والمُرابي وغيرهم، هم مستحقون للوعيد بدخول النار.

لكن قد يُعفىٰ عن بعضهم لأعمالٍ صالحة قدّمها، لجهادٍ فعله في سبيل الله، لأشياء أخرىٰ من أنواع الخير، وقد يُعفىٰ عنه برحمة الله وفضله - جل وعلا -، وقد يُعذَّب علىٰ قدر هذه المعاصي التي مات عليها، لم يتب.

وهم في العذاب متفاوتون، ليسوا علىٰ حدٍّ سواء، لا في المدَّة ولا في المقدار، منهم من تطول مدَّتُه في النار، ومنهم من لا تطول، ومنهم يكون عذابه أشدّ من الآخر، فهي متفاوتة.

فالعقوق للوالدين فوق قطيعة الأخ والعمّ ونحو ذلك، وهكذا المرابي فوق ذنوب كثيرة، وهكذا الذي يقتل النفس بغير الحق أو يزني بزوجة الجار

فوق من يكون ذنبه دون القتل ودون الزنا وهكذا، فهم متفاوتون في عقابهم، وفي مدَّة بقائهم في النار، نسأل الله السلامة.

وقد ثبت في الأحاديث المتواترة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يشفع فيمن دخل النار من أمته أهلِ التوحيد، وتشفع الملائكة، ويشفع المؤمنون، ويشفع الأفراط، وأن شفاعته تتكرَّر أربع مرَّات، يشفع ثم يُحدُّ له حدٌّ، ثم يشفع ثم يُحدُّ له حدّ، ثم يشفع ويُحدُّ له حدّ، ثم يشفع ويُحدُّ له حدّ - عليه الصلاة والسلام - في العصاة.

ويبقىٰ من العصاة قومٌ في النارلم تشملهم الشفاعة؛ فيُخرجهم الله جل وعلا بفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول: شفعت الأنبياء وشفعت الملائكة وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيُخرجهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من النار قد امتَحَشوا، قد احترقوا بذنوبهم وسيئاتهم، إلا أنهم كانوا موحِّدين، كانوا ماتوا علىٰ الإسلام، فالله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

كذلك حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

هذا يفيد الحذر من استماع أحاديث الناس التي يكرهون استماعها، كونه يتسمّع علىٰ من يتكلم يتناجىٰ مع صاحبه، أو يتسمّع في الهاتف لكلام الناس، أو ما أشبه ذلك، هذا يفيد الحذر، وأن الأشياء التي يظهر من حالها أنهم يكرهون المشاركة فيها وسماعها لا يجوز للمسلم أن يتسمّع لهم فيها.

◈ والعلامة: المسارة، العلامة: المناجاة والمسارّة، فلا ينبغي ولا يجوز له أن يتسمّع لحديثهم؛ لأنه قد يضرّهم ذلك، قد يُفشي عليهم أسرارهم، فلا يجوز له ذلك.

«**والآنك**»: هو الرصاص، نسأل الله العافية.

ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «**لا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ**»، فإن كانوا ثلاثة فلا يتناجىٰ اثنان دون الثالث؛ لأنه يحزنه.

◈ التناجي قد يكون في شيء يسوء الثالث فيَحزن بذلك، فلا يجوز سماعهم أو التَّسمُّع لهم، وإن لم يتسمَّع لهم أحزنه ذلك وشقّ عليه؛ لأنه قد يظن أنهما يتكلمان فيه.

وهكذا لو كانوا أربعة وتناجىٰ ثلاثة وبقي واحد لا يجوز؛ لأن هذا يحزنه، وليس له أن يتسمّع لهم ويحزن بذلك.

❃ ❃ ❃

الحديث الرابع: «**طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ**».

هذا معناه الحثُّ علىٰ الاشتغال بنفسه، وأن تصلح عيوبَك بدلًا من أن تشتغل بالناس، فلان فعل كذا، فلان فعل كذا، تغتابهم، وتنمُّ عليهم، وتؤذيهم.

اشتغل بعيبك، وإذا كان فيك خيرٌ مُر بالمعروف وانه عن المنكر، انصح، ولا تشتغل بعيوب الناس؛ «**طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ**». يعني: شغله إصلاح نفسه وجهاد نفسه، حتىٰ تستقيم علىٰ طاعة الله ورسوله.



وهكذا الحديث الخامس: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». **أخرجه البزار ورجاله ثقات.**

هذا الحديث يدل علىٰ وجوب التواضع، والحذر من التعاظم والتكبُّر، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتواضع، وأن يعرف قدرَ نفسِه، وينظر في عيوبه، حتىٰ يعرف قدر نفسه حتىٰ يحقرها، وحتىٰ لا يتكبّر.

«**مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ**»، في رواية البخاري في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح: «**مَنْ تَعَظَّمَ**»(١)، يعني: رأىٰ نفسه عظيمًا كبيرًا، وأن الناس دونه، وهذا من ظلم النفس، ومن كبْرها، ومن غرورها.

وقد ثبت عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حبّة خَردلٍ منْ كبر**»(٢). وفي اللفظ الآخر: «**مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

◈ **فالكبر**: من يردُّ الحقَّ إذا خالف هواه، ويغمط الناس: يحتقرهم، يراهم دونه، هذا هو الكبر، نعوذ بالله من ذلك.

فينبغي الحذر من هذه الأمور التي هي من مساوئ الأخلاق، ومن قبيح الأخلاق، وينبغي للمؤمن أن يتحلَّىٰ بضدِّها، ويتخلق بضدِّها من مكارم الأخلاق، كالتواضع وعدم التكبر وعدم الخيلاء.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١١٨) (٥٩٩٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩).

(٢) رواه مسلم (١٩٣) (٩١) (٤٧).

الحديث السادس: حديث: «العجلة من الشيطان».

◈ ينبغي للمؤمن أن يكون عنده أناة، عنده صبر، تقدّم في حديث أشجِّ عبد القيس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[(١)].

هذا يدل علىٰ أن الأناة والتثبُّت في الأمور، والرفقُ في الأمور أمرٌ مطلوبٌ، وأن العجلة من الشيطان، قد توقع في المعاطِب.

◈فينبغي للمؤمن التَّثبُّت في الأمور، وعدم العجلة، إلا إذا كانت في أمر معلوم فضله، ومعلوم حبُّ العجلة فيه، فهذا مستثنىٰ، كما قال موسىٰ عليه الصلاة والسلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾[طه: ٨٤]، قال: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران: ١٣٣] ﴿سَابِقُوٓا۟﴾[الحديد: ٢١] في الأشياء الواضحة التي ليس العجلة فيها إلا الخير هذا أمر مطلوب، كالمسابقة إلىٰ الطاعات، والمسارعة إلىٰ الخيرات وعدم تأجيل الخير بل يعجِّله، هذا مطلوب.

لكن الأمور التي قد يخفىٰ شأنها، أو قد توقع العجلة في خطر، أو تخالف الخشوع، أو تزيل الخشوع، ينبغي تركها، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا أتيتم الصلاة فأتوها وأنتم تمشون، ولا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وعليكم بالسكينة** - وفي اللفظ الآخر: **والوقار - فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا**»[(٢)]، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢].

---

(١) رواه مسلم (١/ ٤٨) (١٧) (٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (١/ ٤٢١) (٦٠٢) (١٥٤).

فالأمور التي قد تفضي بها العجلة إلىٰ ما لا تُحمد عُقباه: من عدم الإتقان أو عدم الخشوع تُترك.

أما الأمور التي يُخشىٰ فوتها من الخير فإنها تشرع فيها المسارعة والمسابقة حتىٰ لا تفوت.

وفق الله الجميع.

٣٣ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الشُّؤْمُ سُوءُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ[1].

٣٤ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[2].

٣٥ - وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ[3].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٨٥) (٢٤٥٤٧).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣١٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٦) (٢٥٩٨) (٨٥)، وأبو داود (٤٩٠٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٥٠٥).

٣٦ - وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ». أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ(١).

٣٧ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَفَّارَةُ مَنِ اغْتَبْتَه أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ». رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ(٢).

٣٨ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٣).



◈ هذه الأحاديث كالتي قبلها في التحذير من مساوئ الأخلاق، والحث علىٰ مكارم الأخلاق، فإن النهي عن الشيء أمرٌ بضده، والنهي عن هذه الأخلاق الذميمة أمرٌ بما يخالفها وبما يضادها من مكارم الأخلاق.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣١٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٠٦١).

(٢) «زوائد مسند الحارث» (١٠٨٧)، ورواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٩١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٧٥).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٦٣)، والبخاري (٧١٨٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) (٢٦٦٨) (٥)، والترمذي (٢٩٧٦)، والنسائي (٨/ ٢٤٧).

حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الشؤم سوء الخلق».

فالحديث وإن كان ضعيف الإسناد لكن معناه: أنه من شؤم الخلق، أن من الشؤم: سوء الخلق، مثل: «**الحَجُّ عَرَفَةُ**»[1]، و: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[2].

◈ **المقصود:** أن من ابتلي بسوء الخلق: فهذا من أقبح الشؤم الذي يؤذي الناس ويضرهم بسوء خلقه، فيغضب عند أقلِّ شيء، ويتكلم بالعبارات السخيفة والعنف، وغيرِ هذا من سوء الخلق، فيضر نفسه ويضر الناس، هذا من شؤمه، ومما بُلي به من البلاء الذي يضره ويضر غيره، هذا معناه الحث علىٰ حسن الخلق وطيب الكلام.

◈ وتقدمت الأحاديث في هذا الباب الدالة علىٰ حسن الخلق، تقدم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البر حسن الخلق**»[3]، وفي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إن خياركم أحسنكم أخلاقًا**»[4]. وفي اللفظ الآخر: «**إن من خيركم أحسنكم أخلاقًا**»[5]. وفي الحديث: «**ما وضع شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**»[6]. وفي الحديث الآخر: «**كاد حسن الخلق أن يذهب بخيري الدنيا**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣١٠) (١٨٧٧٤)، الترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠٧٠).

(٢) رواه البخاري قبل حديث (٥٧)، ومسلم (٩٥) (٥٥).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢)، ومسلم (٨/ ٦) (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)،

(٤) رواه أبو عوانة في مستخرجه علىٰ مسلم (١٠٢٣٦)، والبيهقي في «الآداب» (١٥٢).

(٥) رواه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٦٨) (٢٣٢١).

(٦) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣).

والآخرة»[١]. فحسن الخلق له شأن عظيم.

وفي الحديث الآخر الصحيح: «**إن أحبَّكم إليَّ، وأقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**»[٢]؛ فسوء الخلق من أقبح الخصال، فينبغي الحذر منه.

وتقدم قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**»[٣].

◈ فينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه، وأن يُحسِّن خُلقه، وأن يبتعد عما يؤذي غيره، ويضر غيره من سوء الخلق.

❋ ❋ ❋

والثاني: حديث أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء يوم القيامة»[٤].

هذا فيه الحذر من اللعن، وقد جاءت نصوص كثيرة تحذر من اللعن والسب، من هذا قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما تقدم: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»[٥]. ومنها قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لعن المؤمن كقتله**»[٦].

---

(١) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (١٢١٢) تـ: صبحي، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤١)، بنحوه.

(٢) رواه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (٤٥٤).

(٣) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) (٢٦٢٦) (١٤٤).

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٦) (٥٢٩٨) (٨٦).

(٥) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٥)، والبخاري (٦٠٤٤)، ومسلم (١/ ٨١) (٦٤) (١١٦)، والترمذي (١٩٨٣)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩).

(٦) رواه البخاري (٦١٠٥)، ومسلم (١/ ١٠٤) (١١٠).

هذا وعيد عظيم يدل علىٰ وجوب تطهير اللسان من هذا الشيء، والحذر من الكلمات التي تعدُّ سبًّا وشتمًا لأخيه: «**إن اللَّعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»(١). وفي الحديث الآخر: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء**»(٢).

ولا يخفىٰ علىٰ كل أحد ما في اللعن والسبِّ وسوء الكلام من الفساد والشرِّ، وتفريق الجماعة، وإحداث الفتن والشحناء، وربَّما أفضىٰ إلىٰ المقاتلة والمضاربة، فينبغي الحذر من ذلك.

❋ ❋ ❋

وهكذا ما يروىٰ عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من عيَّر أخاه بذنب لم يمت حتىٰ يعمله».

◈ حديث معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذا وإن كان ضعيفًا لكن معناه التحذير من تعيير الناس بذنوبهم، من كان تائبًا فلا يجوز تعييره بذنبه السابق، فإن من تاب تاب الله عليه، ومُحي عنه الذنب، وإن كان لم يتب فالواجب أن يُنصح ويوجَّه إلىٰ الخير بالعبارات الحسنة، لا بالتعيير، ولكن بالعبارات الحسنة؛ لأن التعيير يُثير الشحناء والفساد، ولكن بالأسلوب الحسن: اتق الله يا فلان، خاف الله، راقب الله، هذا ما يليق بك، وهذا مما حرم الله عليك.

أما أن يُعيِّره يا زنَّان، يا كذا يا كذا، هذا مما يُثير الشحناء والفتن، ولكن يعالج الأمور بالحكمة والكلام الطيِّب، حتىٰ يتيسَّر لهذا الملوم أو هذا

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٦) (٢٥٩٨) (٨٦).

(٢) رواه الترمذي (١٩٧٧).

المُذنب قبول الحق.

❁ ❁ ❁

الرابع: كذلك حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو معاوية بن حيدة - بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القُشيري، عن أبيه حكيم، عن جده معاوية، وهو سند لا بأس به عند أهل العلم، سندٌ حسن، أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له، ثم ويل له**».

◈ هذا يفيد الحذر من الكذب من أجل إضحاك الناس، ومن أجل المزح، لا ينبغي للمؤمن أن يعوِّد نفسه الكذب، ولا أن يفعل ذلك ولو مزحًا، بل يطهر لسانه من الكذب مطلقًا، هذا هو الواجب علىٰ المؤمن؛ لأن من اعتاده مزحًا يقع فيه جدًّا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالواجب الحذر من تعاطي الكذب، ولو علىٰ سبيل إضحاك القوم والمزح معهم، جاء فلان، قدم فلان، وفعل فلان كذا وكذا، وهو لا حقيقة له، ليضحكهم بذلك، هذا منكرٌ من القول، فينبغي الحذر منه.

❁ ❁ ❁

كذلك حديث: «كفارة من اغتبته أن تستغفر له».

رواه الحارث بن أبي أسامة في «جزئه»، إسناد ساقط، لا يصح عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولكن معناه صحيح عند الحاجة إلىٰ ذلك، فإن الظلم يكون بالمال ويكون

بالعِرض ويكون بالبدن.

فالواجب استحلاله ممن فعلتَ معه ذلك، أو ردُّ حقِّه إليه إن كان مالًا، أو في النفس أو في البَشَرة.

◈ **أما العِرض:** ففيه تفصيل: فإن تيسر استحلاله فهذا هو المطلوب، ويقول: يا أخي أنا أخطأت وقلتُ في حقِّك ما لا ينبغي من الغيبة، سامحني، ولا حاجة إلىٰ أن يقول: قلت: كذا وكذا، يطلب منه الحلَّ، فإن أباحه فالحمد لله، وإلا استرضاه بما يستطيع.

لكن ذكر العلماء: أن بعض الناس قد يضره ذلك لو قاله، قد يضره هذا المغتاب، قد يكون أقوىٰ منه، قد يصيبه ببلاء، قد تكون شحناء بينه وبينه وفساد، فإذا كان يخشىٰ من ذلك ولا يستطيع إخباره بالغيبة، ولا استسماحه، فإنه يستغفر له بظهر الغيب، ويدعو له، ويَذْكُره بأحسن ما يعلم من حاله، وبخير ما يعلم من حاله في المجالس والمجتمعات التي اغتابه فيها، لا يكذب، ولكن يذكره بخير ما يعلم منه، وبأحسن ما يعلم من خصاله، بدلًا من غيبته في تلك المجالس، حتىٰ تكون هذه بهذه عند العجز عن استحلاله، أو الخوف من الفتنة عند استحلاله، وهذا الذي قاله أهل العلم معناه صحيح، وقاعدة الشرع تدعو إلىٰ ذلك.

◈ لأن القاعدة الشرعية: ارتكاب أدنىٰ المفسدتين بتفويت كبراهما، وتحصيل أعلىٰ المصلحتين أو المصالح بتفويت دنياهما.

وهذا أمرٌ معروف من القاعدة من الإسلام، من أحاديث الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأعماله.

فتحصيل أعلىٰ المصلحتين وتفويت كبرىٰ المفسدتين أمرٌ مطلوب في هذا الباب وفي غيره.

❀ ❀ ❀

كذلك حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **«أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخصم»**.

هذا أمرٌ معلوم بالنص وبالواقع.

فالألَدُّ: كثير الخصومات، الذي كلَّما خرج من حجة دخل في أخرىٰ، مأخوذ من لديدَي الوادي، يعني: جانبيه، يعني: أنه ذو تنطُّعٍ وتكلُّفٍ في الخصومات، لا يكاد يسلم منه أحد، ولا يكاد يخلص من خصومته، لِلَدادته وعدم سماحته، فهو كثير اللَّدَد، كثير الكلام، كثير التشعيب في الخصومة، فيضرُّ نفسه ويضر الناس، ويتأذىٰ به الناس.

ومعنىٰ «**الخصم**»: يعني: كثير الخصومة.

◈ فينبغي للمؤمن أن يكون بخلاف ذلك، يكون سمحًا، طيِّب الكلام، قريبًا من إخوانه، بعيدًا من الشر، وألا يكون ذا لَدادة في خصومته، وتكلُّف في خصومته، فيبغضه الناس، ويبغضه الله عَزَّوَجَلَّ.

◈ فالواجب في مثل هذا: العناية بأسباب إنهاء الخصومة، والسلامة من عواقبها الوخيمة، ولو تسامح عن شيء يسير لا يضره.

◈ فينبغي له أن يكون بعيدًا عن اللَّدَد، وكثرة الخصومات، والتوسع فيها، وتشقيقها والتَّكلُّم فيها، فإن عاقبة ذلك وخيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله،



والله أعلم.

س: **الناقة التي لعنها... ؟**

ج: هذا في الحديث الصحيح لما لعن بعض الناس الناقة، قال: «**لا تصحبنا ناقة ملعونة**»[1].

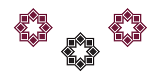
قال العلماء: من باب التنفير عن اللعن، والتحذير منه، وليس معناه أنها تخرج من ملكه، لا، هي علىٰ ملكه، يتصرف فيها بعدين، لكن الرسول أمر بذلك من أجل التنفير من اللعن. لكنها لا تخرج عن ملكه عند أهل العلم، إنما يتصرف فيها بعد ذلك؟

س: **من أراد أن يقتصَّ ممن لعنه يدخل تحت حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟**

ج: لا بأس، لا يزيد عليه، تقدم في حديث: «**المُسْتَبَّانِ مَا قالَا فعَلىٰ البادِي مَالمْ يَعتدِ المَظلُوم**».

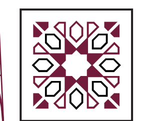
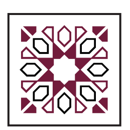
◈ فإذا قال: لعنك الله، قال: بل أنت لعنك الله، ما فيه بأس، قصاص، أو قال: أخزاك الله، قال: بل أنت أخزاك الله، أو قال: قاتلك الله، قال: بل أنت قاتلك الله، هذا قصاص.

لكن لو سامح أفضل، لو عفا يكون أفضل.



---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٠٤) (٢٥٩٥) (٨٠)، بلفظ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**».

بابُ التَّرْغِيْبِ فِي مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ

١ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

٣ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٣) (٢٦٠٧) (١٠٥)، وأبو داود (٤٩٨٩)، والترمذي (١٩٧١).

(٢) رواه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥) (٢٥٦٣) (٢٨)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (١٩٨٨).

فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)].

٤ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٢)].

٥ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ[(٣)].

٦ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(٤)].

٧ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٩٢)، والبخاري (٢٤٦٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٥) (٢١٢١) (١١٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٦)، والبخاري (٧١)، ومسلم (٢/ ٧١٩) (١٠٣٧) (١٠٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣).

(٤) رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦) (٥٩)، وأحمد في «المسند» (٤٥٥٤)، وأبو داود (٤٧٩٥)، وابن ماجه (٤١٨٤).

تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ[١].



يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب الترغيب في مكارم الأخلاق**».

◈ لما ذكر الترهيب من مساوئ الأخلاق كما تقدم ذكر الترغيب، وبعض الناس يبدأ بها قبل الترهيب، وكلٌّ ذلك صحيح، فإن الترغيب والترهيب أمران مطلوبان.

فالمؤمن يجب أن يهتم بالمكارم، ويحذر المساوئ، والنصوص جاءت بهذا وهذا، جاءت النصوص من الكتاب والسنة بالترهيب من مساوئ الأخلاق، والدعوة إلىٰ مكارم الأخلاق.

وقد روىٰ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الأدب المفرد» بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٢]، «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٣]، يعني: يدعو لصالح الأخلاق ويُكمِّلها، علاوة علىٰ ما عند الناس فيها من

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢١) (١٧٠٩١)، والبخاري (٣٤٨٤)، وابن ماجه (٤١٨٣).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٨٧٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٨٧٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣).

العرب وغيرهم، فهو بُعث ليدعو الناس إلىٰ بقية مكارم الأخلاق التي أعظمها وأهمها وأكبرها توحيد الله والإخلاص له، وأن يكون عبدًا لله وحده لا لغيره، وأن يخصَّه بالعبادة، العبادة هذا أعظم الخُلُق وأكرم الخُلُق.

ثم الأخلاق التي شرعها الله بعد ذلك من المحافظة علىٰ الصلوات وأداء الزكوات وصيام رمضان وحج البيت، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدق الحديث، ومواساة الفقير، ونصر المظلوم، إلىٰ غير هذا من الأخلاق الكريمة، كل هذا مما جاءت به الشرائع التي جاءت بها الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وجاء نبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أفضل الخلق بأكمل ذلك وأتم ذلك.

وذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، أن الحافظ الخرائطي روىٰ هذا الحديث بلفظ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(١)]. بدل: «صالح الأخلاق» «مكارم الأخلاق»، وكلا المعنيين متقارب.

◈ **والمقصود:** أن الله بعثه ليتمم مكارم الأخلاق وصالح الأخلاق، ويدعوَ إليها، وينهىٰ عن سفسافها وأراذلها.

فالمؤمن ينبغي له أن يكون عنده همة عالية، يجتهد بسببها وعلىٰ «ضوئها»[(٢)] إلىٰ الأخذ بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال الواردة في الكتاب والسنة، حتىٰ يكون متصفًا بما يحبه الله ورسوله، تاركًا ما يبغضه الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) رواه الشهاب في «مسنده» (١١٦٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢١٣٠١).

(٢) كلمة غير واضحة، ولعل المثبت هو الأقرب.

ومن ذلك حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي دل علىٰ فضل الصدق، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتحلَّىٰ بالصدق في أقواله وأعماله.

ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البر، وإن البر يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرىٰ الصدق حتىٰ يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب**».

«إيَّا» من صيغ التحذير: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب حتىٰ يكتب عند الله كذابًا**»(١).

◈ هذا فيه الحث علىٰ الصدق، وأنه يجرُّ أهلَه ويهديهم ويقودهم إلىٰ البر في أعمالهم وأقوالهم، ثم هذا البرُّ يهديهم إلىٰ الجنة، ويقودهم إلىٰ الجنة، ثم هذا البرُّ وهذه العناية لا يزال يتحرَّاها حتىٰ يُكتب عند الله صديقًا، مع الصديقين الذين هم أفضل الناس وأكملهم بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فإن رتبة الصديقيَّة بعد النبوة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩] والله يقول جل وعلا: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩]، ويقول سبحانه: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، ولما عدَّ أصناف المؤمنين قال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

◈ أما الكذب فيجرُّ إلىٰ الفجور، والفجور: هو التوسع في المعاصي والذنوب والمخالفات، كما يقال: انفجر كذا، إذا اتسع خرقه، انفجر الوادي أو انفجر النهر أو كذا إذا: اتسع.

---

(١) رواه مسلم (١٠٥) (٢٦٠٧).

◈ فالفجور: التوسع في المعاصي والمخالفات والانغماس فيها، نعوذ بالله، فالكذب يجرُّ إلىٰ ذلك، يجرُّ إلىٰ كثرة المعاصي والشرور.

ثم هذه المعاصي تجرُّه إلىٰ النار، وتوجب له النار، وتهديه إلىٰ النار، نسأل الله العافية.

«فلا يزال الرجل يتحرىٰ الكذب ويكذب علىٰ الناس حتىٰ يكتب عند الله كذابًا». ومن كَتب عند الله كذابًا هلك، نسأل الله العافية.

◈ فلهذا الحثُّ والتحذير علىٰ الصدق في القول والعمل، والحذر من الكذب في القول والعمل، وليس الكذب خاصًّا بالقول، ولا الصدق خاصًّا بالقول، بل يدخل في القول ويدخل في العمل، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾[المائدة:١١٩].

فالصدق في الصلاة أداؤها كما أمر الله كاملة، والصدق في الزكاة أن يتخلص منها، وأن يؤديها كاملة، والصدق في الصوم: أن يتحرَّىٰ فيه ما أمر الله، وأن يصونه عما يغضب الله من المعاصي، والصدق في الحج أن يؤديه كما شرع الله، فالصدق يكون في القول، ويكون في العمل.

❊ ❊ ❊

والحديث الثاني: يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث».

◈ تقدم هذا في الترهيب من مساوئ الأخلاقِ في الباب الماضي، وذكره هنا، وأعاد هنا لأنه من مساوئ الأخلاق، إذا أخذ به العبد وصار ظِنِّينًا – كثير الظن بالناس – فهذا من مساوئ الأخلاق، وإذا تباعد عن ذلك، وترك هذه

الظنون السيئة، هذا من مكارم الأخلاق.

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»، أي: ترك الظن والبعد عنه والحذر منه من مكارم الأخلاق، والتَّلبُّس بالظن السيِّئ وفعله مع الناس من غير حجة من مساوئ الأخلاق.

◈ فالظن الذي يعتبر: هو ما كان عليه بيِّنةٌ، ما تقوم عليه البيِّنة والشواهد، فإذا شهد عدلان بأنه قتل، بأنه سرق، ثبت هذا الظن، وصار ظنًّا حقيقيًّا معتمدًا في الشريعة، وقد يفضي إلىٰ اليقين، بأن تقوىٰ الشهادة والعدالة حتىٰ يكون هذا الشيء يقينًا عند الحاكم، وعند الوالي ونحو ذلك.

وقد تكون الظنون مبنيَّةٌ علىٰ علامات أخرىٰ، مثل مجالسة الأشرار، وصحبة الأشرار، وكونه معهم في غالب أموره، فهذا يوجب ظن السوء به، ولو لم تقم بيِّنةٌ [علىٰ] أنه فعل هذا الشيء، لكن كونه معهم، وكونه يصحبهم، وكونه يُعرف بهم، هذا من الدلائل والقرائن علىٰ سوء حاله، وفي الحديث الصحيح: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»(١).

◈ فينبغي للمؤمن أن يحذر الظنون السيئة، وأن يبتعد عن مواضع الظنون السيئة، وأن يتحرىٰ في قوله وعمله: العلامات الصادقة، والبيانات الصادقة، التي تبعده عن السوء، وتجعله في عداد الأخيار، وعداد أصحاب المروءة، ومكارم الأخلاق.

❁ ❁ ❁

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣٥) (٨٤١٧)، وأبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨).

الحديث الثالث: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إياكم والجلوس في الطرقات**».

يحذر أصحابه من الجلوس في الطرقات؛ لأنها مظنة الشر.

«**فقالوا: يا رسول الله، ما لنا بدٌّ من مجالسنا**»، يعني: نحتاج إليها، فقال: «**أما إذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه**»، **قالوا: وما حقه يا رسول الله؟ قال:** «**غض البصر، وكف الأذىٰ، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

◈ هذه خمس خصالٍ مهمَّةٍ لمن كان في الطرقات، أو يجلس عند بابه، أو في الطريق، أو في مجالس أخرىٰ في الطرقات، فليراعي هذه الأمور، فإن أداها وإلا فليبتعد عن هذا المجلس:

الأول: غض البصر عن محارم الله، عن النساء وعن عورات الناس.

الثاني: وردُّ السلام علىٰ من سلم عليه، يجب ردُّ السلام: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾[النساء:٨٦]. علىٰ الأقلِّ الردُّ.

الثالث: كفُّ الأذىٰ عن الناس، بعض الناس إذا كان في الطريق هذا يشتمه، وهذا يؤذيه بشيء من الأذىٰ، وهذا يقول فيه كذا وكذا، وهذا يقول فيه كذا وكذا.

◈ **فالمقصود**: أنه يؤذي المارة بلسانه أو بأفعاله، هذا من الظلم، فيجب الحذر من ذلك.

الرابع والخامس: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا رأىٰ معروفًا قد ضُيِّع يأمر به، رأىٰ منكرًا قد فُعل ينهىٰ عنه في هذا المجلس الذي رآه، مرَّ

عليه إنسان يَشتم، ينكر عليه، مرَّ عليه إنسان قد أبدىٰ عورته، ينكر عليه، مرَّ عليه إنسان يغتاب الناس، ينكر عليه، وهكذا.

يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر في هذا الطريق الذي جلس فيه، أو عند بابه أو علىٰ محل يمرّ عليه الناس، وإن كان غير طريق يجب عليه إنكار المنكر، ويجب عليه الأمر بالمعروف؛ لأن المؤمنين هكذا، المؤمنون هكذا، يجب أن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر أينما كانوا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[التوبة:٧١] هذه أخلاقهم، ذكورًا كانوا أو إناثًا.

❋ ❋ ❋

والرابع: حديث معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»، متفق علىٰ صحته.

وهذا خبر عظيم: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**».

◈ فالفقه في الدين من أعظم المكارم، ومن أعظم خصال الخير، ومن أعظم أسباب السعادة، والجهل بالدين من أعظم أسباب المساوئ، ومن أعظم أسباب الشرِّ، ومن أعظم أسباب الهلاك والوقوع في المعاصي.

◈ ولهذا جعل المؤلف هذا الحديث في هذا الباب؛ لأن الفقه في الدين والتَّبصُّر في الدين من أعظم مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، فجدير بكل مؤمن، وجدير بكل مؤمنة التفقه في الدين والتَّعلُّم والتَّبصّر، والإقبال علىٰ كتاب الله، وعلىٰ سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، علمًا وبحثًا ومراجعة وعملًا، هكذا يكون المؤمن، وهكذا تكون المؤمنة إذا أرادوا السعادة والخير.

الخامس: **حديث أبي الدرداء** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يقول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق»**[(١)].

هذا يدل علىٰ فضل حسن الخلق، وقد جاءت فيه الأحاديث الكثيرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك ما تقدم في رواية مسلم: «**البر حسن الخلق**»، «**البر حسن الخلق**»[(٢)]، ومن ذلك حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كاد حسن الخلق أن يذهب بخيري الدنيا والآخرة**»[(٣)]، ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن أحبكم إليَّ وأقربكم منِّي مجلسًا يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقًا**»[(٤)].

فهذا يدل علىٰ فضل حسن الخلق، وأنه ينبغي للمؤمن أن يتحلَّىٰ بهذا الخلق الكريم، وأن يحرص ويجاهد نفسه؛ هذه الأمور تحتاج إلىٰ الجهاد والصبر، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق**»[(٥)]، وفي اللفظ الآخر: «**طليق**»، فهذا من حسن الخلق أيضًا.

◈ فالمؤمن يجاهد نفسه مع إخوانه مع أهل بيته مع من يقابله من إخوانه، مع أستاذه، مع زميله، مع ضيفه، يجتهد ويحرص مهما كانت الحال أن يحسِّن

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)،وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢)، ومسلم (٨/ ٦) (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)،

(٣) رواه عبد بن حميد في «منتخبه» (١٢١٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٥٠)، والطبراني في «الكبير» (٤١١)، بلفظ: «**ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا، وَخَيْرِ الْآخِرَةِ**».

(٤) رواه ابن وهب في «الجامع في الحديث» (٤٥٤).

(٥) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) (٢٦٢٦) (١٤٤).

خلقه، وأن يبتعد عن العنف والشدة وسوء الخلق مهما استطاع، والتوفيق بيد الله جل وعلا، إنما المؤمن يسعىٰ ويسأل ربه التوفيق، ويستعين بالله جل وعلا، ويجاهد نفسه ويتصبَّر.

كل إنسان يجد من نفسه بعض الشيء، ولكن لا بدَّ من التصبُّر مع الضيف، مع الزميل، مع الأستاذ، مع الصاحب، مع الجار، مع الزوجة، مع الأولاد، مع الخادم، لا بدَّ من التَّصبُّر حتىٰ يحقِّق هذه الخصلة، وهي حسن الخلق.

❊ ❊ ❊

السادس: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كذلك: «الحياء من الإيمان»، رواه الشيخان في «الصحيحين».

ولا شك أن الحياء من الإيمان، وهكذا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون** - أو قال -: **بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1]، خرَّجه الشيخان، وهذا لفظ مسلم.

◈ هذا يفيد أن الحياء من جملة شعب الإيمان، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصحيحين»: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»[2]، «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»[3]، فينبغي للمؤمن أن يتحلَّىٰ بالحياء.

وما هو الحياء؟ الحياء خلقٌ كريمٌ، خلق فاضل، خلق قلبيٌّ، يحمل علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويزجر عن قبائح الأخلاق، وعن

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ٦٤) (٣٧) (٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (١/ ٦٤) (٣٧) (٦٠).

سفاسف الأعمال.

◈ فالمستحيي: هو الذي يتحرَّىٰ الأخلاق الفاضلة، والصفات الحميدة والأعمال الجيدة، ويتباعد عن الأعمال السيئة، وعن سفاسف الأخلاق، وعن مقابلة الناس بما لا ينبغي، هذا هو الحياء.

وليس الحياء الجبن والضعف عن طلب العلم، أو عن حضور حلقات العلم، أو عن السؤال، ليس هذا هو الحياء، هذا جبن، هذا ضعف وخوَرٌ، لا ينبغي.

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به: «**لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ**»، «**لَا يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلَا مُسْتَكْبِرٌ**»،[1]، من استحيا ما حصَّل العلم، بقي في جهالته، من استحيا أنْ يسأل أو يحضر حلقات العلم أو يذهب إلىٰ سؤال العلماء بقي علىٰ جهالته.

فلا بدّ من السؤال وطلب العلم، ومزاحمة طلبة العلم في طلب الخير، حتىٰ يدرك ما قسم الله له من ذلك.

وهكذا قالت أم سليم رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهِ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَىٰ الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ**»[2].

قالت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «**نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ**»[3].

---

(١) رواه البخاري تعليقًا مجزومًا به قبل حديث (١٣٠).

(٢) رواه البخاري (١٣٠)، ومسلم (١/ ٢٥١) (٣١٣) (٣٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٠)، ومسلم (١/ ٢٦١) (٣٣٢) (٦١).

◈ **فالمقصود**: أن التفقه في الدين هو الواجب علىٰ الرجال والنساء، ومن ترك ذلك حياءً فهذا ليس بحياء، ولكنه ضعف وجبن وخور وجهل، وإنما الحياء هو الذي يزجرك عن القبائح، ويحملك علىٰ المكارم، هذا هو الحياء.

أما حياءٌ يمنعك من إكرام الضيف، يمنعك من حضور حلقات العلم، يمنعك من السؤال، يمنعك من نشر العلم، يمنعك من نشر السلام، من رد السلام، هذا ليس بحياء، ولكنه ضعف وخور وجبن وجهل، لا ينبغي للعاقل. وفق الله الجميع.

❋ ❋ ❋

س: **يجب علىٰ المؤمن حسن الظن؟**

ج: هذا داخل في «إياكم والظن».

س: **يا شيخ صلاة الأوابين بعضهم يصليها بعد التراويح؟**

ج: يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ»[1]، يعني: حين يشتد الحرُّ علىٰ أولاد الإبل.

س: **هل يسمون مبتدعة، الذين يصلونها بعد التراويح؟**

ج: السنة بعد التراويح ما في بأس، لكن ما يُسمَّىٰ صلاة الأوابين، وإن سمَّوها الأمر سهل، ما نعرف أن صلاة الأوابين تعرف بهذا، لكن الصلاة بعد التراويح ما في بأس.

❋ ❋ ❋

(١) رواه مسلم (١/ ٥١٥) (٧٤٨) (١٤٣).

٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ اللَّهُ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(١)].

٩ - وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

١٠ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ[(٣)].

١١ - وَلِأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ[(٤)]،[(٥)].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٥٢) (٢٦٦٤) (٣٤)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٣٨٢)، وابن ماجه (٧٩).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٨)، ومسلم (٤/ ٢١٩٨) (٢٨٦٥) (٦٤)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

(٣) رواه الترمذي (١٩٣١).

(٤) رواه أحمد (٦/ ٤٦١) (٢٧٦٠٩).

(٥) شرح هذه الأحاديث الثلاثة من شرح «البلوغ» لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ في مسجد محمد اليحيىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ بالرياض «الشرح المختصر».



يقول النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير**». ثم يقول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

هذا يفيد أنه ينبغي للمؤمن ألا يدع الأسباب، بل ينبغي أن يأخذ بالأسباب، ويعمل ويكدح حتىٰ لا يحتاج إلىٰ الناس، ولهذا قال النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف**».

«**فالمؤمن الضعيف**»، المؤمن القوي الذي يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويأخذ بالأسباب، حتىٰ يستغني عن الناس، خير من الضعيف الذي قد يحتاج إلىٰ الناس، ويضعف عن الأمر والنهي.

ثم قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**احرص علىٰ ما ينفعك**»[(١)]. يكون يحرص علىٰ ما ينفعه يكون يبيع يشتري، حرَّاث زرَّاع إلىٰ غير هذا من أسباب الرزق.

يقول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا من أن يأكل من عمل يده،**

(١) رواه أحمد في «المسند» (٧٨٩١)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٢) (٢٦٦٤) (٣٤)، وابن ماجه (٧٩).

وكان نبي الله داود يأكل من عمل يده»[١]، ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما سئل: أي الكسب أطيب؟ - قال: «**عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور**»[٢].

فالإنسان يعمل يتسبب يأخذ بأسباب الرزق، حتىٰ لا يحتاج إلىٰ الناس، مع قيامه بما أوجب الله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلىٰ الله، والإعانة علىٰ الخير، وفعل ما يستطيع من أنواع الخير، في البيع والشراء، الزراعة، الغراس، التجارة، الحدادة.

وكان داود عَلَيْهِ السَّلَامُ يأكل من عمل يده، يصنع الدروع.

❋ ❋ ❋

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله تعالىٰ أوحىٰ إليَّ أن تواضعوا حتىٰ لا يبغي أحد علىٰ أحد ولا يفخر أحد علىٰ أحد».

فالواجب علىٰ المؤمن أن يتواضع فلا يبغي، ولا يتعدَّىٰ علىٰ أحد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠].

فالواجب علىٰ المؤمن الحذر من البغي والظلم، والحرص علىٰ أداء الواجب، والعدل في الأمور كلِّها.

يقول الله جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، كلُّهم خلقوا من ذكر وأنثىٰ، لماذا يبغي؟! لماذا يفخر؟! لماذا يتكبر؟!.

---

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١٧٢٦٥).

◈ فالواجب التواضع، وعدم البغي، وعدم التكبر، وأن يعرف أنه ضعيف من نطفة من ماء مهين: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المرسلات:٢٠]، حتىٰ لو رُزق مال قارون فالأمر سهل.

◈ فالواجب عليه ألا يفخر علىٰ الناس، وألا يتكبر لا بمال ولا بعلم ولا بقوة جسم، ولا بغير ذلك، بل عليه التواضع: «**إن الله أوحىٰ إلي أن تواضعوا، حتىٰ لا يبغي أحد علىٰ أحد ولا يفخر أحد**»، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

◈ ومن واجب المؤمن: الردُّ عن عرض أخيه، إذا رأىٰ من يتكلم في عرض أخيه ردَّ عنه، يقول: اتق الله يا فلان، اترك عنك الكلام في أعراض الناس، خف الله، راقب الله، يقول ﷺ: «**من ردَّ عن عرض أخيه بالغيب ردَّ الله عن وجهه النار يوم القيامة**».

فإذا رأيت من يتكلم في أعراض الناس فانصحه، تقول له: اتق الله، هذا لا يجوز لك، اشتغل بنفسك، حاسب نفسك، ولا تشتغل بأعراض الناس، والله يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

هذا هو واجب المؤمن الدفاع عن أخيه، والتعاون مع أخيه في الخير، وفي ترك الشر، فالمسلمون إخوة، مثل ما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١].

ويقول النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[١]، ويقول: «**المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يكذبه،**

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (١٣١٤٦)، والبخاري (١٣)، ومسلم (١/ ٦٧) (٤٥)=

ولا يخذله، التقوىٰ ها هنا – وأشار إلىٰ صدره يعني: القلب ثلاث مرات– كل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»[1]. وفق الله الجميع.

س: أحسن الله إليك يا شيخ كيف يجمع بين هذا الحديث أن «لو تفتح عمل الشيطان» وبين قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»؟.

ج: هذا يتمنىٰ الخير، لو قلت: لو استقبلت من أمري صليت مع فلان حتىٰ أصلي علىٰ الجنازة، أو لو استقبلت من أمري ما استدبرت كان ساعدت فلانًا بكذا. ما يخالف (لا بأس).

السائل: هذا في الخير يعني مطلقًا؟

ج: إيه، يتمنىٰ الخير ولو علم كذا لفعل كذا ما في بأس.

أما المنكر يقول: لو أني رحت للطبيب سلمتُ، ولو إني سافرت سلمتُ، ولو إني ما سافرت سلمتُ، أو ما أشبه.

س: أحسن الله إليك، جواز إخراج زكاة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين لأجل أن تجمع ثم توزع علىٰ الفقراء يوم العيد، ولاَّ يجوز مباشرة إعطائهم قبل يوم العيد بيوم أو يومين تعطىٰ للفقراء والمساكين مباشرة؟

ج: نعم، لا بأس، من يوم ثمانية وعشرين وقت إخراج.

= (٧١)، والترمذي (٢٥١٥)، والنسائي (٥٠١٦)، وابن ماجه (٦٦).

(١) رواه أحمد في «المسند» (٧٧٢٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) (٣٢)، والترمذي (١٩٢٧).

السائل: تعطىٰ للفقراء مباشرة؟

ج: نعم.

س: أحسن الله إليك، الرد عن عرض المسلم للوجوب؟

ج: لا، هذا للترغيب والترهيب، قد يجب لأنه منكر، قد يقال: إنه واجب، لأنه من باب إنكار المنكر.

سائل: إذا اعتزل المجلس أحسن الله إليك، ما رد عن عرض أخيه، ولكنه اعتزل المجلس؟

ج: إذا كان يقدر ما يكفي الاعتزال، لا بدَّ يرد عنه، إذا كان يقدر.

س: يقول الشارح: «بل ورد في الحديث أن المستمع للغيبة أحد المغتابين»؟

ج: الله أعلم، الله أعلم.

س: أحسن الله عملك: لو سكت يعتبر مشاركًا له أحسن الله عملك؟

الشيخ: نعم.

السائل: أحسن الله عملك: مثلًا إذا اغتاب أحدٌ ثم الآخر سكت، يعني ما بيَّن له شيئًا ؟

ج: الواجب يبيِّن إذا كان يعلم، يقول: اتق الله، وإن كان يعلم أنه سليم يقول: لا، سليم ما هو علىٰ ما قلتَ، وإلا يقول له: اترك الغيبة، ما يجوز لك الغيبة؛ الله قال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢] من باب إنكار المنكر.

س: أحسن الله إليك، بالنسبة للأذان، وضع الإصبعين في الأذن، هل ثبت مرفوعًا؟

ج: الذي أَعْرفه أنه ثبت من فعل بلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وبلال ما فعله إلا عن أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

سائل: يكون من السنة وضعه؟

ج: لأنه أندىٰ للصوت.

س: أحسن الله إليك من قال: إن صفات الله المذكورة في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إنما هي بعض صفات الله، ليست كلها أحسن الله إليك، هل هذا الكلام وجيه؟

ج: الله أعلم، الله أعلم.

س: أحسن الله إليك يا شيخ هل المصلَّىٰ له حكم المسجد؟

ج: لا.

س: أحسن الله إليك يا شيخ: من قال: إن القوة تدخل في قوة البدن، «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله...»؟

ج: لا، ما هو بالبدن، إيش يبغىٰ بالبدن إذا ما ينفع، القوة قوة العمل، لو كان أقوىٰ من الفيل ولكن ما يأمر ولا ينهىٰ ما يُسمَّىٰ قويًّا يُسمَّىٰ ضعيفًا، ولو كان أقوىٰ من الفيل.

س: هل يقال في حق عائشة أحسن الله إليك: الصدِّيقة بارك الله فيك؟

ج: إي نعم، هي الصديقة بنت الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

س: يعني: ثبت لها مرتبة الصديقة؟

ج: نعم، رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

س: الرواية أحسن الله إليك: «قدر الله وما شاء الله»، أو «ما شاء فعل»؟

ج: وما شاء فعل، «قدر الله وما شاء فعل»، والمعنىٰ واحد، وما شاء الله.

السائل: والمعنىٰ واحد بس الرواية؟

ج: نعم.

س: إذا كان فيه ميت يا شيخ كثير الفساد، ونحذر أصحابه الذين بقَوا أن انتبهوا مثلًا من أفعال فلان؟

«**من الشيخ**»: إذا كان يعمل فسادًا ظاهرًا ومعاصي ظاهرة؟

«**من السائل**»: نعم.

ج: لا بأس، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عندما مُرَّ عليه بجنازة وأثنوا عليها شرًّا قال: «**وجبت**» ما أنكر عليهم.

هذا محمول علىٰ أن له معاصي ظاهرة، فالذي معاصيه ظاهرة ما له غيبة، ليس له غيبة.

س: أحسن الله إليك يا شيخ: أقول: تذكير الناس بحسن الخاتمة علىٰ وجه الميت وسوئها، ولكن لا يذكر اسم الميت؟ يجوز أو لا يجوز؟ حسن الخاتمة وسوئها علىٰ وجه الميت يجوز تذكيرها للناس أم لا يجوز؟.

«**من الشيخ**»: يعني: الذي يُغسِّل؟

«**من السائل**»: نعم، لكن لا نذكر اسم الميت؟

ج: إن رأىٰ خيرًا يذكر الخير، وإن رأىٰ شرًّا لا يذكر الشر، إن رأىٰ خيرًا يقول رأيت عليه الخير، وإن رأىٰ شرًّا لا يغتاب.

السائل: لكن لو يعني: من باب التخويف والترغيب والترهيب؟

ج: إذا ما سمَّىٰ أحدًا ما يخالف.

السائل: ما نسميه؟

ج: ما فيه بأس.



١٢ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

١٣ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(٢). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ(٣).



هذه الأحاديث كالتي قبلها في الحث علىٰ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وأنه ينبغي للمؤمن أن يعمُر وقته بصالح الأخلاق، وطيب الأخلاق.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٨) (٦٩)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٢) شرح هذا الحديث والذي قبله من شرح «البلوغ» لسماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسجد محمد اليحيىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالرياض «الشرح المختصر».

(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٥١) (٢٣٧٨٤)، والترمذي (١٨٥٥)، وابن ماجه (١٣٣٤).

تقدم قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(١)]. وفي اللفظ الآخر: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**».

من ذلك قول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه**»[(٢)]. فهذا فيه الحث علىٰ الصدقة، والتواضع، والعفو عن الحقوق التي لك علىٰ الغير، ترجو ما عند الله جل وعلا.

◈ فيه فضل عظيم، أن تعفو عن من ظلمك، وأن تصدَّق، تُحسن، وأن تواضع لله جل وعلا، كل هذا فيه الخير العظيم، والفائدة الكبيرة ، فهذا من صفات المؤمن، ومن أخلاقه.

❁ ❁ ❁

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبد الله بن سلام: «أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[(٣)].

هذا حديث عظيم، إفشاء السلام، وإطعام الطعام من القربات، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل: أي الإسلام أفضل؟ قال: «**أن تطعم الطعام،**

---

(١) رواه الشهاب في «مسنده» (١١٦٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢١٣٠١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٩٠٠٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٨) (٦٩)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢٣٧٨٤)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه (١٣٣٤).

وتقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف»[١]. وهذا معنىٰ الحديث: «**أفشوا السلام، وأطعموا الطعام**».

«**وصلوا الأرحام**»: الأقارب.

«**وصلوا بالليل والناس نيام**»: التهجد بالليل كما قال جل وعلا عن عباد الله الصالحين: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]، وقال جل وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء:٧٩]، فالتهجد بالليل من صفات الصالحين، ومن أعمال الأخيار.

«**تدخلوا الجنة بسلام**» يعني: تدخلوا الجنة سالمين غانمين موفقين. وفق الله الجميع.

الأسئلة:

س: أحسن الله إليك وبارك الله فيك، وإطعام الطعام؟

ج: الصدقة، كون الإنسان يطعم الطعام علىٰ الضيف والفقير، ومن يصل إليه من طالب الحاجة.

في الحديث الصحيح: أي الإسلام أفضل؟ قال: «**أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام**»[٢].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦٥٨١)، والبخاري (١٢)، ومسلم (١/ ٦٥) (٣٩) (٦٣)، وأبو داود (٥١٩٤)، والنسائي (٥٠٠٠)، وابن ماجه (٣٢٥٣).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦٥٨١)، والبخاري (١٢)، ومسلم (١/ ٦٥) (٣٩) (٦٣)، وأبو داود (٥١٩٤)، والنسائي (٥٠٠٠)، وابن ماجه (٣٢٥٣).

س: تفطير الصوام في رمضان؟

ج: كذلك في رمضان وفي غيره، تفطير الصوام وتَسْقِيهِم، وإطعامهم في أيام الفطر في الغداء والعشاء.

س: الصدقة عام عفا الله عنك؟

ج: عامٌّ في كل وقت.

س: نقص الصدقة عفا الله عنك، «ما نقصت صدقةٌ من مال»[(١)]؟

ج: يعني: ينزل بركة، ينزل الله بركة.

س: حكم صلة الأرحام يا شيخ؟

ج: واجبة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[(٢)]، ويقول في الحديث الصحيح الآخر: «**يقول الله جل وعلا للرحم: من وصلها وصلته ومن قطعها بتته**»[(٣)].

والله يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[محمد:٢٢، ٢٣]. نسأل الله العافية.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٧٢٠٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٨) (٦٩)، والترمذي (٢٠٢٩).

(٢) رواه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢) (٢٥٥٧) (٢١).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٦٤٩٤)، وأبو داود (١٦٩٤).

وفي الحديث الآخر: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[١]. نسأل الله العافية.

س: **يقول الشارح هنا**: «ويكره أن يخصَّ أحدَهم بالسلام؛ لأنه يولد الوحشة» أقول: بعض الناس عفا الله عنك يخص طالب العلم أو العالم بالسلام من سائر الموجودين، فما أدري هذا له أصل عفا الله عنك؟

ج: لا، مزيد سلامٍ، يعني: إذا كان مزيد سلام، يعمُّ الجميع، ويخصُّ بعضهم بعدين لا بأس، يعمُّهم بالسلام جميعًا.

س: **ما يولِّد هذا الوحشة عفا الله عنك؟**

ج: لا، ما في وحشة.

س: **سائلة تسأل تقول: تريد أن تتصدق، تسأل من الناس المحتاجين للصدقة؟**

ج: الفقراء الذين ما عندهم ما يقوم بحالهم إلا من الله ثم الصدقة، ما عندهم أسباب تقوم بحالهم، لا وظائف ولا بيع وشراء وتجارة.

س: **إذا كان شخص له راتبٌ ليس كافٍ؟**.

ج: إذا كان راتبه ضعيف ما يكفيه: يُتصدَّق عليه.

س: **صحة الأحاديث السابقة أحسن الله إليك رواية: «يدخل الناس النار الأجوفان الفم والفرج» صحة الحديث أحسن الله إليك؟**

ج: صحيح، روىٰ مسلم في «الصحيح»: «**من يضمن لي ما بين لحييه**

(١) رواه مسلم (٤/ ١٩٨١) (٢٥٥٦) (١٩)، وأبو داود (١٦٩٦).

ورجليه أضمن له الجنة»[١].

س: **السابقة يا شيخ؟**

ج: كلها صحيحة.

س: **إطعام الطعام، بالتصدق ولاّ عام يا شيخ؟**

ج: إطعام يأكلون ولاَّ يتصدقون.

س: **ما يكون في الولائم وكذا؟**

ج: لا، للفقراء والضيوف وأبناء السبيل عام، الضيوف وأبناء السبيل كلُّه.

س: **حكم النصيحة عفا الله عنك، حكم النصيحة؟**

ج: واجبة فيما يجب، ومستحبة فيما يستحب، واجبة في ترك المنكرات، ومستحبة في المستحبات.

س: **في رجل - عفا الله عنك - مرَّ علىٰ أناس يدخِّنون، فسلم عليهم، فأنكر عليه بعض الرفاق، ألا تسلم عليه وهو علىٰ معصية؟**

ج: لا، ينصح، يسلِّم وينصح ما في حرج؛ لأنهم قد يكونون جهالًا، يسلم وينصح، أقرب إلىٰ القبول.

س: **لكن إن لم ينوِ نصحهم - عفا الله عنك - يذهب لا يسلِّم عليهم؟**

ج: يسلِّم عليهم وينصح.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٤).

س: من كان صائمًا فأحد الإخوان ضيَّفه فقال هل أقطع الصيام؟

ج: إذا كان نافلة ورأىٰ مصلحة لا بأس، إذا كان نافلة وأحب أن يُفطر لا بأس، إذا قصد مجاملة أخيه لا بأس.

س: يؤجر إن شاء الله؟

ج: إن شاء الله.

س: الاعتماد علىٰ اليد اليسرىٰ يا شيخ عام أو في الصلاة النهي عنه؟

ج: المعروف في الصلاة.

س: عفا الله عنك يا شيخ ما حكم تقبيل اليد للوالدين أو للشيخ؟

ج: لا حرج، لكن تركه أحسن، أقول لا حرج، ما أعلم به بأسًا.

س: تركه أولىٰ؟

ج: وإذا قبَّلهم ما بين العينين أو قبَّل الرأس قد يكون أفضل - إن شاء الله - وإلا فما فيه حرج، ما أعلم فيه حرجًا، لكن تركه أفضل بسْ.

س: من فسر صلاة الليل بصلاة العشاء «صلوا بالليل»؟

ج: لا، التهجد بالليل؛ لأنه قال: «والناس نيام» التهجد بالليل.

س: كان سائل يسأل يقول: عندي عروض تجارة إذا أردت زكاتها أُقوِّمها بسعر الشراء أو بسعر البيع؟

ج: سعر البيع، التي تُسام به في السوق.

س: أحسن الله إليك: قول ابن عباس - حفظك الله في تفسير الآية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤]: الشيخ، والمرأة الكبيرة، والحامل والمرضع إذا أفطرتا أطعمتا، أحسن الله إليك؟

ج: لا، الصواب أنهما تقضيان، أما الشيخ الكبير والعجوز لا بأس، إذا عجزا يُطعمان.

س: هل تفسير ابن عباس له حكم الرفع؟

ج: هذا من اجتهاده، لا، من اجتهاده[1].

س: أحسن الله إليكم يا شيخ، إطعام الطعام والصدقة، هل هي في رمضان أفضل من غيرها.

ج: نعم.

❃ ❃ ❃

(١) ليس له حكم الرفع لأنه من اجتهاده.

١٤ - وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» - ثَلَاثًا - قُلْنَا: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

١٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ(٢).

١٦ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ(٣).

١٧ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(٤).

١٨ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢)، ومسلم (١/ ٧٤) (٥٥) (٩٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٧/ ١٥٦).

(٢) رواه الترمذي وحسنه (٢٠٠٤)، والحاكم (٤/ ٣٢٤).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٥٥٠)، والحاكم (١/ ١٢٤).

(٤) رواه أبو داود (٤٩١٨).

خَيْرٌ مِنَ الذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الصَّحَابِيَّ[1].

١٩ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ[2].



س: «من الشيخ»: عندك «ثلاثا»؟

ج: «من القارئ»: نعم.

قال ابن باز: المعروف في رواية مسلم ما فيها: «**ثلاثًا**»، إنما رواه أبو داود وجماعة فيها «**ثلاثًا**»، المعروف في رواية مسلم الذي قرأناه ما فيها «**ثلاثًا**» «**الدين النصيحة**» فقط، لكن زاد أبو داود وجماعة ثلاثًا في رواية تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا، في روايات أخر، لعلَّها رواية،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٣) (٣٨٢٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلىٰ، ورجالهما رجال الصحيح غير عوسجة بن الرماح، وهو ثقة.

تُراجع مثل النووي والأبِّي، لعلها رواية، إنما المشهور في رواية مسلم من دون ذكرها[(١)].

◈هذه الأحاديث كلها تدعو إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كما ذكر المؤلف في أول الترجمة.

والله جل وعلا بعث نبيَّه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعوَ إلىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وأعظمها توحيد الله والإخلاص له، هو أعظم الأخلاق العظيمة وأفضلها، ففيه الخُلُق العظيم الذي يليق بالعبد «أن يصف به ربه»، وأنه سبحانه المستحق للعبادة، فأحسن الأخلاق وأعظمها وأفضلها: أن يكون العبد عابدًا لله وحده، خالصًا له بالعبادة، تاركًا للشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

روىٰ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند جيِّد، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[(٢)]. رواه الخرائطي أيضًا بسند لا بأس به بلفظ: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٣)].

فهو مبعوث صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدعو الناس إلىٰ مكارم الأخلاق، التي منها: توحيده والإخلاص له، وامتثال أوامره، وترك نواهيه - جل وعلا -، والوقوف عند حدوده.

ويدخل في ذلك كل ما هو خلق كريم: من الإحسان إلىٰ الناس ودعوتهم

---

(١) لفظ مسلم: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٨٧٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣).

(٣) رواه الشهاب في «مسنده» (١١٦٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (٢١٣٠١).

إلىٰ الخير، والصبر علىٰ أذاهم، ونصر المظلوم، وردع الظالم، إلىٰ غير هذا من الأخلاق التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، ومن هذا: النصيحة.

الحديث الأول: حديث تميم الداريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وهو أبو رقية - عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الدين النصيحة». كررها ثلاثا في عدَّة روايات: من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن حديث تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غير مسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

◈ **الغرض بأن النصيحة**: هي أعظم مكارم الأخلاق، ومن أعظم خصال المؤمن، وهي الدلائل علىٰ صفاء قلبه، وقوة رغبته في الخير.

النصيحة أمرها عظيم، وفي بذلها والتعاون فيها تصلح المجتمعات، وتصلح الأسر، وبالغفلة والإعراض عنها تكثر الشرور، وتقلُّ الخيرات، وتعظم الشحناء، ويحصل التفرق؛ ولهذا قال: «الدين النصيحة». فجعل الدين كلَّه نصيحة.

◈ **والمعنىٰ**: أن الدين يعود إلىٰ النصيحة في الأخلاق والأعمال.

فالدين كلُّه نصيحة، فالتوحيد نصيحة لله، وأداء أوامر الله، وترك نواهيه: نصيحة لله.

وتعظيم كلام الله، والإيمان بأنه كلامه سبحانه حقٌّ، وأنه المنزَّل، المنزَّه عن كل باطل، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، واتباع أوامره، وترك نواهيه ،كلُّ هذا من النصيحة لكتاب الله.

وهكذا النصيحة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بالإيمان به، واعتقاد أنه رسولٌ

حقًّا، وأن الله بعثه للناس كافة، وأنه بلَّغ البلاغ المبين، وأدىٰ الأمانة،، ونصح الأمة، وأنه خاتم النبيين، كل هذا من النصيحة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأعظم ذلك اتباع شريعته والاستقامة عليها، والمحافظة عليها، والموالاة فيها، والمعاداة فيها، والدعوة إليها، كل هذا من النصيحة للرسول عليه الصلاة والسلام.

◈ **ثم النصيحة لأئمة المسلمين:** بالتعاون معهم علىٰ الخير، ودعوتهم إليه، وتوجيههم إليه، والحث علىٰ السمع والطاعة لهم في المعروف، والتحذير من المنازعة والخروج عليهم، إلىٰ غير هذا مما ينفعهم وينفع المسلمين.

والدعاء لهم بظهر الغيب بالتوفيق والهداية وصلاح الحال، كل هذا من النصيحة لولاة الأمور.

◈ **أما النصيحة لعامة المسلمين فهي أنواع كثيرة:** منها: دعوتهم إلىٰ الخير، وتعليمهم وتوجيههم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإقامة الحدود عليهم، إلىٰ غير هذا مما ينفعهم.

❋ ❋ ❋

والحديث الثاني: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: تَقْوَىٰ اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[(١)].

هذا من أعظم مكارم الأخلاق، أن يتَّقي ربَّه، وأن يحسِّن خلقه، وتقوىٰ الله تَستدعي فعلَ أوامره وترك نواهيه، وإقامة الحدود، والصبر علىٰ الحقِّ،

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٢) (٩٦٩٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦)

والكف عن الأذىٰ، فتقوىٰ الله تجمع كل خير، مع حسن الخلق، هو من تقوىٰ الله، حسن الخلق من تقوىٰ الله، بأن يحسِّن خلقه مع إخوانه في جميع الأحوال، وهكذا في حال الدعوة إلىٰ الله، لا يكون فظًّا ولا غليظًا، وهذا جماع الخير.

❀ ❀ ❀

وفي اللفظ الآخر: «إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[1].

فحسن الخلق أشمل، بسطُ الوجه من حسن الخلق، ولهذا عطفه عليه.

وتقدم قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**البر حسن الخلق**»[2]، وتقدم حديث: «**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**»[3]، وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح: «**إن أحبَّكم إليَّ وأقربَكُم منِّي منزلةً يومَ القيامةِ أحاسِنُكُم أخْلاقًا**»[4]. وتقدم قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تحقرنَّ منَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تلقَىٰ أخاكَ بوجهٍ طلقٍ**»[5]. وفي اللفظ الآخر: «**طليق**»، كل هذا من حسن الخلق.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٩٦٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٩٥).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢)، ومسلم (٨/ ٦) (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٨٩)،

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي(٢٠٠٣).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٩)، والبخاري (٢٤)، وأبو داود (٤٧٩٥)، والترمذي (٢٦١٥)، والنسائي (٨/ ١٢١).

(٥) رواه مسلم (٤/ ٢٠٢٦) (٢٦٢٦) (١٤٤).

وهكذا حديث: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ»، وحديث: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»(١).

كل هذا من مكارم الأخلاق، أن ينصح لأخيه، ويكون مرآة له، يُريه عيوبه وينصحه بتركها، ويريه حسناته ويحثه علىٰ الثبات عليها، والقيام بها والاستمرار فيها.

فالمرآة تُريك ما في وجهك، وما أمام المرآة مما قد لا تراه، فتجتهد في إصلاحه، تُريك عيب وجهك، عيب مقامتك، أشياء قد لا تراها ولا تفطن لها.

فالمؤمن مرآتك يريك حسناتك وسيئاتك، وينصحك، ويوجهك إلىٰ الخير.

وهكذا من يصبر علىٰ الناس ويخالطهم ويدعوهم إلىٰ الحق، ويزجرهم عن الباطل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر خير من الذي يعرض ويبقىٰ في بيته

❁ ❁ ❁

وقوله ﷺ: «اللهُمَّ كَمَا حَسنتَ خَلقِي فَحَسِّن خُلُقِي»(٢).

هذا فيه الدعوة والطلب من الله جل وعلا أن يحسِّن خلقه.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢).

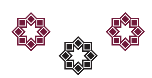
(٢) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٣) (٣٨٢٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٣)، وقال: رواه أحمد وأبو يعلىٰ، ورجالهما رجال الصحيح غير عوسجة بن الرماح، وهو ثقة.

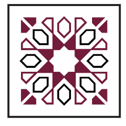
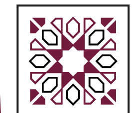
وهذا أيضًا من طلب مكارم الأخلاق، فإنَّ دعاءَ الربِّ وسؤالَه إيَّاه أن يحسِّن خلقه معناه: أنه يطلب أن يُعطىٰ مكارم الأخلاق؛ لأن تحسين الخلق هو من مكارم الأخلاق.

فالإنسان إذا صار عنده شيء من الشدة، أو شيء من سوء الخلق، فينبغي له أن يضرع إلىٰ الله، ويسأله من فضله، وأن يجاهد نفسه في ذلك، وأن يعوِّدها الخير.

فحسن الخلق يُكتسب أيضًا، يكتسب بالمجاهدة، وبطلب الله جل وعلا أن يعينه علىٰ ذلك، وقد يكون الإنسان غليظًا، وقد يكون شديدًا، وقد يكون سرس الخلق، ولكن بالتمرُّن والتدرُّب، وسؤال الله التوفيق والهداية، ومعالجة النفس وجهادها: يُعطىٰ خيرًا كثيرًا.

وفق الله الجميع.



بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ

١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا(١).

٢ - وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ(٢).

٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ: إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». أَخْرَجَهُ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٤٠)، والبخاري قبل حديث (٧٥٢٤)، وابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨١٥).

(٢) رواه وأحمد (٥/ ٢٣٩) (٢٢٠٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٧) (٢٩٤٥٢)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٦٦) (٣٥٢).

مُسْلِمٌ(١).

٤ - وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ(٢).

٥ - وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٤).

٧ - وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤) (٢٧٠٠) (٣٩)، وأبو داود (١٤٥٥)، والترمذي (٣٣٧٨)، وابن ماجه (٣٧٩١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٣) (٩٩٦٥)، وأبو داود (٤٨٥٦)، والترمذي وحسنه (٣٣٨٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٢)، والبخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩٣) (٣٠)، والترمذي (٣٥٥٣)، والنسائي في «الكبرىٰ»(٩٨٦٠).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٢)، والبخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩١) (٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٥٩٣)، وابن ماجه (٣٨١٢).

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْت بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَاءَ نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[1].

الشَّرْح

هذا الباب في الذكر والدعاء، ختم به المؤلف الكتاب، والمناسبة ظاهرة؛ لأن الذكر والدعاء تُختم به الحياة، تُختم به المجالس، تُختم به الصلوات، يُختم به الصيام، هذا ذكر الله جل وعلا مطلوب دائمًا، في أول الحياة وفي آخرها وفي أثنائها وفي كل عمل.

ولذلك شرع الله جل وعلا الذكر في جميع الأوقات، وندب العباد إلىٰ الذكر دائمًا في كل شيء، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

◈ وأول الدين وأول الإسلام ذكرٌ، وقول: «**لا إله إلا الله**»، أول كلمة يقولها المسلم، ويدخل بها الإسلام ذكر، وهي أعظم الذكر: «**لا إله إلا الله**»، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[2].

فهذا الذكر العظيم مأمور به العبد دائمًا في جميع الأحوال، في صغره وكبره، وشيبته وشبابه، ومرضه وصحته، وسفره وإقامته، وعند موته، وفي

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٠) (٢٧٢٦) (٧٩)، والترمذي (٣٥٥٥)، والنسائي (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٣٨٠٨).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢٢٠٣٤).

جميع الأحوال، وفيه خير عظيم، وفضل كبير، مع خفته وسهولته.

◈ فينبغي للمؤمن ألا يزال لسانه رطبًا من ذكر الله، ولهذا قال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قالوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ**»(٢). فذكر الله جل وعلا فيه الخير العظيم، والفائدة العظيمة، سواء كان قوليًّا أو عمليًّا أو قلبيًّا.

◈ **فالذكر يكون بالقلب:** كتعظيم الله، ومحبته والشوق إليه، وخوفه ورجائه، والتفكير في حقِّه عليه.

◈ **والذكر يكون باللسان** بقول: لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، ومن الاستغفار والدعاء، وغير ذلك مما يقوله اللسان مما يحبه الله.

◈ **ويكون بالأعمال:** من صلاة وصوم وجهاد وصدقات وغير ذلك، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**».

◈ هذه معية خاصة، تقتضي رحمته له، وتأييده له، وتوفيقه له، مثل ما قال جل وعلا في قصة موسىٰ وهارون عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] وقال في قصة محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] وقال: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠) (٢٦٧٦) (٤).

[الأنفال:٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٨] هذه يقال لها معية خاصة، التي تقتضي محبة العبد، محبةُ الربِّ للعبد، وثناؤه عليه، وتوفيقه له، وتأييده له، وإعانته له علىٰ الخير.

◈ وهناك معية عامة مع العباد جميعًا كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] أي: بعلمه واطلاعه وقدرته، عليهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❋ ❋ ❋

فِي الحديث الثاني: يقول عليه الصلاة والسلام: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[1].

هذا فيه الحث علىٰ الذكر، ولا يقتصر علىٰ اللسان، مثل ما تقدم، قد يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالعمل.

◈ **والمقصود من هذا:** التحذير من الغفلة، قال الله في أهل النار: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الغفلة عن الله وعن ذكره هي مِفتاح الشِّر، وطريق الشيطان: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ

---

(١) رواه وأحمد (٥/ ٢٣٩) (٢٢٠٧٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٥٧) (٢٩٤٥٢)، والترمذي (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، والطبراني (٢٠/ ١٦٦) (٣٥٢).

وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٣٦]. نسأل الله العافية.

فينبغي الإكثار من ذكر الله.

❋ ❋ ❋

وهكذا قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ: إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

وهكذا إذا اجتمعوا إلىٰ دراسة القرآن جاء في هذا المعنىٰ أيضًا.

❋ ❋ ❋

وهكذا قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا جَلَسَ قومٌ مَجْلِسًا لمْ يَذكرُوا اللهَ فيهِ، ولَمْ يُصَلُّوا علىٰ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا كانَ عَلَيهِم حَسْرةً»[2]، وفي لفظ: «إلَّا قَامُوا عَنْ مِثْل جِيفَةِ حِمَارٍ»[3].

فهذا فيه الحث علىٰ عمارة المجالس بذكر الله، واستغفاره ودعائه والصلاة علىٰ النبي عليه الصلاة والسلام، أو بقراءة ما تيسر من القرآن.

◈ **فالمقصود**: أنه لا ينبغي أن تكون المجالس عارية من هذا الخير، بل تكون معمورة بما تيسر من ذلك، من قراءة القرآن أو ذكر الله، أو الاستغفار أو الدعاء، أو الصلاة علىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا جمع بين ذلك صار أكبر،

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) (٢٧٠٠) (٣٩).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٤) (٧٠٩٣)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠١٧٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٩) (٩٠٥٢)، وأبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٠٨).

وأعلىٰ وأعظم.

❁ ❁ ❁

وهكذا حديث أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الحديث الخامس: يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». رواه الشيخان، البخاري ومسلم في «الصحيحين»[1].

وهذا فيه فضل عظيم، عشر مرَّات لكن مع الإيمان ومع الصدق؛ لأن هذه الكلمات إنما تنفع مع الإيمان والصدق: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»، يعني: معتقدًا لها، ومؤمنًا بمعناها، معتقدًا أنه لا معبود حق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كان كمن أعتق أربعة أنفس من العرب المستعربة من ولد إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وفي الحديث الآخر يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**». زاد الترمذي: «**يُحْيِىٰ وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةَ مَرَّةٍ فِي يَوم كَانَ لَهُ عَدْل عَشَرَةِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وكَانَ فِي حرزٍ مِنَ الشَّيطانِ ذَلِكَ اليومَ حتَّىٰ يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا امْرُؤٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ**». أخرجه الشيخان في «الصحيحين»[2].

فهذا حديث عظيم، ما ينبغي للمسلم أن يدعه، هذه الأشياء ينبغي للمسلم

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٢)، والبخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩٣) (٣٠)، والترمذي (٣٥٥٣)، والنسائي في «الكبرىٰ»(٩٨٦٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩١) (٢٨).

أن يحافظ عليها كل يوم، ويُكثر منها، ولا سيما أهل العلم، يُقتدىٰ بهم.

فهذه أذكار عظيمة، وفيها فوائد جمة، مع الصدق والإخلاص والرغبة فيما عند الله عَزَّوَجَلَّ.

❋ ❋ ❋

وهكذا حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1].

هذا فيه فضل التسبيح؛ لأنه تقديس لله وثناءٌ عليه، زاد أبو داود: «**سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة**»، فينبغي أن يقال ذلك مائة مرة صباحًا ومساءً.

وعند مسلم: «**من قال ذلك حين يصبح وحين يمسي...**»[2]. فينبغي أن يقال هذا عند الصباح وعند المساء.

ولو ذكر المؤلف حديث: «**لا إله إلا الله مائة مرة**»[3]، هنا لكان أنسب، فكأنَّه ذهل عنه عند جمع هذا الكتاب رَحِمَهُٱللَّهُ.

❋ ❋ ❋

وهكذا حديث جويرية رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهو الحديث السابع: يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - لما دخل عليها وهي في مصلاها من صلاة الفجر حتىٰ أضحت وهي في مصلاها، تسبِّح وتذكر الله وتقرأ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي أم المؤمنين - قال: «لَقَدْ قُلْت بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ

(١) رواه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩١) (٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٩) (٢٦٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩١) (٢٨).

اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَاءَ نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

فهذا يدل علىٰ فضل هذه الكلمات، وأن تكرر ثلاث مرات: «**سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه سبحان الله زنة عرشه**». الزنة: يعني: الوزن، «**سبحان الله مداد كلماته**». هذه الأربع كلمات لها شأن عظيم، ينبغي المحافظة عليها. وفق الله الجميع.

❊ ❊ ❊

س: **لو جعلت في كفة والسموات والأرض....؟**

ج: هذا يأتي، هذا حديث آخر.

س: **«سبحان الله وبحمده» معناه؟**

ج: يعني: أنزهك حامدًا لك، أنزهك بحمدي لك وثنائي لك، ثنائي عليك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزهه عن صفات النقص، مع حمده والثناء عليه.

س: **يقول الأذكار وليس معه مع معانيها؟**

ج: الجهلُ نفسُه، الجهل، حتىٰ يتأمَّل ويستفيد، فإذا أكثر منها دخل في قلبه ذلك، واستقر في قلبه ذلك، وهُدي إلىٰ التفكر والتفهم والتَّعقُّل، المهم أن يعتادها ويكثر منها، وعليه أن يتحرىٰ الصدق في ذلك، والعمل بمقتضاها.

س: **الاستغفار إذا يذكر في آخر الصحيفة يمحو...؟**

ج: يُروىٰ هذا، يُروىٰ هذا، المقصود الإكثار من هذا هو الذي ينبغي للمؤمن، إذا كان أول كلامه وأوَّل صباحه وآخر نهاره كلُّها ذكرٌ واستغفار يرجىٰ أن يُغفر ما بينهما.

س: أحسن الله إليك يا شيخ: ذكر الله في المجلس هل يكون علنًا؟ أو المراد به أن يذكره أحدهم؟

ج: لا علنًا، حتىٰ يتأسىٰ بعضهم ببعض، وحتىٰ يستفيد هذا من هذا.

السائل: يعني: قد يكون بصوت واحد مثلًا؟

ج: لا، لا يتعمَّد يكون جماعي، هذا يذكر وهذا يذكر؛ لأن الجماعي ما له أصل.

٨ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ[(١)].

٩ - وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّك بِأَيِّهِنَّ بَدَأْت: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٦١٧)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢-٥١٣).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٠)، ومسلم (٣/ ١٦٨٥) (٢١٣٧) (١٢)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٦١٤)، وابن ماجه (٣٨١١).

١٠ - وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّك عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). زَادَ النَّسَائِيّ: «لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»(٢).

١١ - وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ». رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ(٣).

١٢ - وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا بِلَفْظِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(٤).

١٣ - وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ». وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ(٥).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٩)، والبخاري (٦٣٨٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٦) (٢٧٠٤) (٤٤)، وأبو داود (١٥٢٦)، والترمذي (٣٤٦١)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٣٢)، وابن ماجه (٣٨٢٤)،

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٠٩) (٨٠٨٥)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠١١٨).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٦٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٤).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٧١).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، والترمذي (٣٣٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٠).

١٤ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ[1].

١٥ - وَعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ[2].

الشَّرْح

◈ هذه الأحاديث كالتي قبلها، فيها الدلالة علىٰ فضل الذكر والدعاء، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكثر من الذكر والدعاء، وأن ذلك من رحمة الله وفضله، حيث أحسن إلىٰ عباده، وشرع لهم أنواعًا من الذكر والدعاء، تنفعهم النفع العظيم، ولا تكلفهم كثيرًا ولا تشق عليهم، فهذا من نعم الله العظيمة، فإن الأذكار كلَّها خير وهدىٰ، وكلَّها رحمة، وكلَّها تفيد المؤمن درجات وحسنات، وتكفير سيئات مع قلة المؤنة وقلة المشقة، هذا من رحمة الله ولطفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥)، والترمذي (٣٥٩٤)، والنسائي (٩٨١٢)، وابن خزيمة (٤٢٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٠).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١/ ٤٩٧).

ولهذا أكثر في كتابه العظيم من الحثِّ علىٰ ذلك، لما فيه من الخير العظيم والفائدة العظيمة والعاقبة الحميدة للذاكرين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠]، ويقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**سبق المُفرِّدون**» قيل: يا رسول الله: وما المُفرِّدون؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**»[1]، وقال جل وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

فينبغي للمؤمن أن يكثر من الدعاء، ومن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أينما كان: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

في هذا الحديث يقول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

يعني: أنها من الباقيات الصالحات.

فالباقيات الصالحات: الأعمال التي تبقىٰ للمؤمن، وتنفعه في الآخرة إذا فعلها لله، وأداها لله مخلصًا.

فهذه كلمات عظيمة، خفيفة المئونة، يسيرة المئونة، ونفعها عظيم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله يقول سبحانه: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦]، وفي آية أخرىٰ: ﴿وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦]؛ فينبغي للمؤمن أن يكثر منها؛

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠) (٢٦٧٦) (٤).

لعظم شأنها.

❋ ❋ ❋

وهكذا قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّك بِأَيِّهِنَّ بَدَأْت: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[1].

سواء بدأت بالتسبيح، أو بالتحميد، أو بلا إله إلا الله، أو بالتكبير، كلُّه واسع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

أو قلت: لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر.

أو قلت: الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، كلُّه واسع.

ولهذا قال: «**لا يضرك بأيهن بدأت**»، فينبغي الإكثار من ذلك؛ لأنها خفيفة المئونة، عظيمة النفع والجدوىٰ والأجر.

❋ ❋ ❋

وهكذا حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أَدُلُّك عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاَللَّهِ».

وجاء في هذا المعنىٰ عدة أحاديث تدل علىٰ فضل هذه الكلمة - لا حول ولا قوة إلا بالله - زيادة: «**ولا ملجأ من الله إلا إليه**».

هذه كلمة تفيد التَّجرُّد من الحول والقوة، وأن كل شيء بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن العبد ضعيف، ليس له قدرة ولا حول ولا تصرف إلا بالله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٠)، ومسلم (٣/ ١٦٨٥) (٢١٣٧) (١٢)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٦١٤)، وابن ماجه (٣٨١١).

◈ **المعنىٰ**: لا حول لي علىٰ شيء، ولا قوة لي علىٰ شيء إلا بالله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا تنصُّلٌ وتجرّدٌ من حولك وقوتك، وإقرار بذلك لله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي هذا تحقيق لتوحيد الربوبية، الذي هو الدليل والبرهان علىٰ توحيد العبادة والألوهية، فإن من أقرَّ أن ربَّه هو صاحب الحول والقوة، بيده كل شيء، كان هذا مما يدعوه إلىٰ إفراده بالعبادة، وتخصيصه بالعبادة، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

لا حول ولا قوة إلا بالله، هي كلمة عظيمة، ولا سيما عند الشدائد والكروب، فإن الله يعين العبد بها علىٰ تسهيل أموره وتفريج كرباته؛ لأنه اعترف بالشيء لأهله، وهو الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

كذلك حديث النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أبيه، يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدُّعاءَ هُوَ العِبَادةِ».

هذا يدل علىٰ عظم شأن الدعاء، وأنه هو العبادة، حصر فيه العبادة لعظم شأنه، مثل: «**الدين النصيحة**»[(١)]، «**الحج عرفة**»[(٢)]، يبيِّن عظم شأن الدعاء، وما ذاك إلا لأن الداعي معترف بأن ربه هو الغني الذي يُطلب منه الجود والكرم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو سميع الدعاء؛ ولهذا دعاه، وهو القادر علىٰ إجابة الدعوة،

(١) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢)، ومسلم (١/ ٧٤) (٥٥) (٩٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٧/ ١٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٥)، وابن ماجه (٣٠١٥).

وهو الرؤوف وهو الرحيم واللطيف، ولهذا صار دعاؤه يتضمن وصف الله بالصفات الكثيرة.

دعاؤك إياه يتضمن: اعترافك بغناه، وأنه ذو الجود والكرم ولهذا طلبته.

ويتضمن: أنه يسمع دعاءك مع كونه فوق السماء فوق العرش جل وعلا.

ويتضمن: أنه رحيم، يرحم الداعين ويجيب دعوتهم.

ويتضمن: أنه عليم بحالك، لا تخفىٰ عليه خافية.

فالدعاء هو العبادة، فينبغي الإكثار منه، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر:٦٠] فسمىٰ الدعاء عبادة، ﴿يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، يعني: صاغرين حقيرين، فالتكبر عن الدعاء من صفة الجبابرة، من صفة من عُدِمَ الإيمان.

أما المؤمن: فإنه يعتقد أن ربَّه جل وعلا هو الكريم، وهو الجواد، وهو الغني الحميد، وهو اللطيف بعباده، السميع لدعائهم، فيلجأ إليه ويسأله في الرخاء والشدة: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾.

وفي اللفظ الآخر: «**الدعاء مخ العبادة**»، هذه الرواية وإن كان فيها ضعف، لكن هي داخلة في المعنىٰ: «الدعاء هو العبادة»؛ لأن مخ الشيء خالصه، والمعنىٰ في حصر أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي فيها الاعتراف بكل شيء مما يليق بالله.

◈ والدعاء دعاءان:

١ - **دعاء العبادة:** وهو ذكر الله وتوحيده وطاعته.

٢ - ودعاء المسألة: وهو طلب الحاجة من الله عَزَّوَجَلَّ.

والدعاء بنوعيه هو العبادة، سواء كان دعاء مسألة كـ: ربِّ اغفر لي وارحمني وأنجني وارزقني.

أو دعاء عبادة كـ: الحمد والصلاة والصوم فإنه دعاء، فإن المصلي إنما صلىٰ يطلب، وإنما صام يطلب، وإنما حج يطلب، فهو بحجِّه أو صلاته أو صومه أو استغفاره أو تسبيحه إنما فعل هذا يطلب الثواب من الله، يرجو منه الثواب، يريد منه الثواب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو داعٍ في الحقيقة، فالمصلي داعٍ، والصائم داعٍ، والحاجّ داعٍ.

وهكذا من سأل باللفظ كـ: اغفر لي وارحمني وأنجني وارزقني، فهو سائل الله أيضًا، فهو داعٍ.

فالدعاء سواء كان دعاء عبادة كالصلاة والصوم، أو دعاء مسألة كـ: اغفر لي وارحمني هو العبادة.

فالإكثار من هذا ومن هذا إكثار من العبادة، وينبغي للمؤمن ألا يملَّ وألا يعجز وألا يضعف، وأن يكثر من الدعاء فهو علىٰ خير فأُجيب علىٰ دعائه.

أما الحاجة: فقد تُنجَّز لحكمة، وقد تؤخَّر لحكمة، كما في الحديث الصحيح، يقول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث: إما أن تدخر له دعوته في الآخرة، وإما أن تعجَّل في الدنيا، وإما أن يُدفع عنه من السوء مثلها**»، قالوا: يا رسول الله، إذًا نُكثر. قال: «**الله أكثر**»[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

ففي هذا أن دعاءك لا يضيع عليك، بل أنت في دعائك علىٰ خير: أجرٌ لك يعجَّلُ، وحاجة تُقضىٰ، أو تؤجَّلُ، أو تعطىٰ خيرًا منها وأفضل منها، فربُّك حكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

❊ ❊ ❊

كذلك حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ».

يُعرف أن الدعاء له أوقات يجاب فيها أكثر.

فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ الأوقات التي تناسب، ويكون الدعاء فيها أقرب إلىٰ الإجابة؛ لأنه بحاجة إلىٰ ذلك، مثل كونه يتحرَّىٰ الأوقات المناسبة حتىٰ تُجاب دعوته له، مأمور بهذا ومشروع له هذا.

◈ ومن ذلك ما بين الأذان والإقامة، ومن ذلك آخر الليل، ومن ذلك جوف الليل، ومن ذلك آخر الصلاة، حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثم ليختر من المسألة ما شاء**»[1]، لما علَّم بالتحيات، ومن ذلك السجود، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**». يقول: «**أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**»[2].

فالمؤمن يتحرَّىٰ الأوقات والهيئات المناسبة التي وُعد فيها الإجابة، وإن كان الدعاء مطلوب في كل وقت، وفي كل حين، والله وعد بالإجابة مطلقًا، سواء دعوته في الصلاة، أو في خارج الصلاة، في الليل أو في النهار، بين

(١) واه مسلم (١/ ٣٠٢) (٤٠٢) (٥٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٤٨) (٤٧٩) (٢٠٧).

الأذان والإقامة، أو في غير ذلك.

لكن تحري الأوقات التي جاء فيها نصٌّ خاصٌّ يكون ذلك أكمل، كآخر الصلاة قبل السلام، وكآخر الليل عند التَّنزُّل الإلهي، وكجوف الليل الآخر، وكما بين الأذان والإقامة، وهكذا عند الكروب والشدة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢].

◈ فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ هذه الأوقات، ومع ذلك يدعوه في الأوقات الأخرىٰ، ويكون حريصًا، ويكون مكثرًا من الدعاء، فإن الله يحب من عباده أن يسألوه، وأن يضرعوا إليه، وأن يكثروا من ذلك؛ لأن في دعائه إيَّاه اعترافًا بجوده وكرمه وإحسانه إلىٰ عباده، وقدرته علىٰ الإجابة، وسمعه للداعي، وعلمه بحال الداعي.

واللفظ الآخر: «**ليس شيئًا أكرم علىٰ الله من الدعاء**»، وما ذاك إلا لما فيه من اعتراف الداعي بأن ربَّه يسمع الدعاء، وأنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه الجواد الكريم، وأنه الرحمن الرحيم، ولهذا دعاه.

س: شخص يذكر الله، وآخر يتصدق أيهما أفضل؟.

ج: إذا جمع بين الأمرين يكون أفضل، إذا تصدق وذكر الله جمع بين الأمرين، مثل المجاهد الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله، الذاكر أفضل من المقسِّم للدراهم وهو غافل، وأفضل من المجاهد وهو غافل، ولكن مما ينبغي للمؤمن أنه يذكر الله مع كل عمل، مع صدقته ومع جهاده، ومع عيادته للمريض، ومع جميع أحواله، يذكر الله بقلبه ولسانه.





كذلك حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[(١)].

هذا فيه الحث علىٰ - أيضًا - عظم رفع اليدين عند الدعاء، وأن رفع اليدين في الدعاء من أسباب الإجابة، فينبغي رفعهما عند الدعاء رجاء الإجابة، وامتثالًا لهذا الحديث وما جاء في معناه.

وكان عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحيان يرفع يديه، يُلحُّ في الدعاء عليه الصلاة والسلام، ولما وقف بعرفة رفع يديه ودعا في حجة الوداع، وهكذا في مزدلفة وقف في المشعر الحرام صباح يوم النحر رفع يديه ودعا، وهكذا علىٰ الصفا والمروة رفع يديه ودعا في السعي، عليه الصلاة والسلام، وهكذا لما دعا عند الجمرتين: الجمرة الأولىٰ والثانية رفع يديه ودعا عليه الصلاة والسلام، وهكذا في الاستسقاء رفع يديه ودعا، وبالغ في ذلك عليه الصلاة والسلام.

وكل موضع رفع فيه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشرع لنا الرفع فيه، اقتداءً به عليه الصلاة والسلام.

وهكذا المواضع التي لم يرفع فيها - لا نعلم أنه رفع فيها - لنا أن نرفع عند الدعاء؛ لأنه من أسباب الإجابة، أما المواضع التي فعلها ولم يرفع فإننا لا نرفع فيها.

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٨)، وأبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥).

◈ **فإن الأحوال ثلاثة:**

١ – حال رفع فيها نرفع فيها.

٢ – وحال ترك الرفع فيها لا نرفع فيها.

٣ – وحال لم يرد فيها شيء، نرفع فيها؛ لأنه من أسباب الإجابة.

◈ ومن الحال الوسطىٰ التي فعلها ولم يرفع: دعاؤه بين السجدتين، ما رفع فيه بين السجدتين، دعاؤه في التحيات: ما رفع يديه قبل أن يسلم، دعا من دون رفع، من ذلك بعد السلام: إذا سلم من الفريضة ما كان يرفع، كان يدعو بينه وبين نفسه، ولكن لا يرفع يديه، كما أنه لم يرفع قبل السلام، وهكذا بعد السلام.

فالمواضع التي فعلها صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أمته وأصحابه ولم يرفع لا نرفع.

والمواضع التي فعلها ورفع نرفع فيها، عليه الصلاة والسلام، كما في رفعه في عرفة، وفي المزدلفة، وفي السعي علىٰ الصفا والمروة، وعند الجمرتين، وفي الاستسقاء.

وهكذا يوم الجمعة في خطبة الجمعة وخطبة العيد ما رفع، فلا نرفع، فالذي يرفع في خطبة الجمعة يكون مخالفًا للسنة؛ لأن النبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب الناس في الجمعة ولم يرفع يديه.

◈ فدلَّ ذلك علىٰ أننا نتحرَّىٰ فعله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنَّته؛ حيث رفع رفعنا؛ وحيث ترك تركنا.

والمواضع التي لم يرد فيها لا هذا ولا هذا نحن مخيَّرون، إن رفعنا فهو

من أسباب الإجابة، وإن لم نرفع فلا بأس.

❋ ❋ ❋

س: **يا شيخ في خطبة الجمعة؟**

ج: لا يرفع فيها، النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رفع يديه.

س: **لو استسقىٰ؟**

ج: في الاستسقاء يرفع، إذا استسقىٰ يرفع.

س: **استسقىٰ في خطبة الجمعة؟**

ج: يرفع يديه، إذا استسقىٰ في خطبة الجمعة يرفع يديه، لكن في خطبة الجمعة العادية التي ما فيها استسقاء لا يرفع.

س: **في الاستخارة يا شيخ يرفع يديه؟**

ج: ما أعلم فيها شيئًا، إذا رفع حسن، ما نعلم فيها شيئًا، الحث علىٰ الاستخارة، وإذا رفع فيها كان أبلغ في الدعاء.

س: **في الوتر، إذا قنت؟**

ج: جاء في قنوت النوازل رفع، ولهذا ذكر العلماء شرعية الرفع في قنوت الوتر؛ لأنه من جنس قنوت النوازل.

س: **الدعاء بعد الإقامة هل هو مشروع؟**

ج: لم يرد فيه شيء، من دعا فلا بأس، ومن ترك فلا بأس.

﴿س﴾: **رفع اليدين أثناء صلاة النوافل؟**

﴿ج﴾: ما ينبغي اعتياده، إذا فعل في بعض الأحيان؛ لأنه ما كان النبيُّ يعتاده، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿س﴾: **الاستخارة يا شيخ أحسن الله إليك: هل يجمع مثلًا بين الاستخارة في أمرين في صلاة واحدة؟**

﴿ج﴾: ما نعلم فيه بأسًا، أمرين أو أكثر، أقول: ما نعلم فيه بأسًا، إن خصَّ كلَّ واحد باستخارة فلا بأس، وإن جمعها باستخارة فلا بأس، ما في مانع علىٰ ما نعلم.

﴿س﴾: **مسح الوجه عفا الله عنك، مسح الوجه باليدين؟**

﴿ج﴾: جاء فيه أحاديث ضعيفة، الأفضل ترك المسح، بعض أهل العلم استحبه، قال: إن أحاديث المسح متعددة الطرق، قد يكون من باب الحسن لغيره كما قال الحافظ في آخر «البلوغ»، يأتيكم في كلام الحافظ في «البلوغ».

وآخرون قالوا: لا يستحب؛ لأن الأحاديث الصحيحة ليس فيها شيء، لمَّا دعا في الاستسقاء لم يمسح، وهكذا عند الجمرتين، وعلىٰ الصفا والمروة، وهو لم يمسح، وكلها أحاديث صحيحة ثابتة عنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركه أولىٰ.

﴿س﴾: **حديث سلمان** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **«إن ربكم حيي...»؟**

﴿ج﴾: وهذا وصفه بالحياء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يليق بالله، لا يشابه بخلقه سبحانه: **«إن الله لا يستحي من الحق»**.

س: عفا الله عنك، هل ورد الدعاء بعد النوافل؟

ج: ما أحفظ شيئًا، ما أحفظ شيئًا صحيحًا، جاء في بعض الأحاديث الضعيفة في الحث علىٰ الدعاء بعد النافلة والتَّخشُّع ورفع اليدين ولكنه ضعيف.

السائل: هذا الموضع مثلًا من المواضع التي لم يرد فيها الدعاء ولا الرفع؟

ج: هذا يُخيَّر فيها الإنسان.

س: يعني: ما ورد فيها دعاء ولا رفع فيكون مخيَّرًا؟

ج: يخيَّر، لكن لا يداوم علىٰ الرفع؛ لأنه لم يرد المداومة عليه، إذا دعا في بعض الأحيان ورفع حسن، وإن ترك حسن، حتىٰ لا يكون أحدث شيئًا خلاف السنة.



١٦ - وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّىٰ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ(١). لَهُ شَوَاهِدُ، مِنْهَا:

١٧ - حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُد، وَغَيْرِهِ(٢)، وَمَجْمُوعُهَا يَقْضِي بِأَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

١٨ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ(٣).

١٩ - وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُك، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْت، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَك بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٦)، والبزار (١٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٥٣).

(٢) رواه أبو داود (١٤٨٥)، وابن ماجه (٣٨٦٦).

(٣) رواه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١).

(٤) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٢)، والبخاري (٦٣٠٦)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٨/ ٢٧٩).

٢٠ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدْعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي، وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِك أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ[1].

٢١ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِك، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِك، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ[2].

٢٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِك مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ[3].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥) (٤٧٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وأبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٢٥)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٥١٧ - ٥١٨).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٩٧) (٢٧٣٩) (٩٦)، وأبو داود (١٥٤٥)، والنسائي في «الكبرىٰ»(٧٩٠٠).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٣)، والنسائي (٥٤٧٥)، والحاكم (١/ ٥٣١).



◈ هذه الأحاديث الستة كلها تتعلق بالدعاء والذكر، تقدم أن الباب «باب الذكر والدعاء» وأنه ينبغي للمؤمن أن يعمُرَ حياته وأوقاته ليلًا ونهارًا بالذكر والدعاء، وألّا يفتر من ذلك، فإن ذلك فيه الخير العظيم، والعاقبة الحميدة، وهو من أسباب تفريج الكروب، وتيسير الأمور، وقضاء الحاجات، والسلامة من الشيطان وجنوده.

فينبغي للمؤمن أن يكون كثير الذكر لله، كثير الدعاء، كثير الاستغفار، كثير الضراعة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فإنه يحب سبحانه الذاكرين، ويحب الملحِّين في الدعاء.

الحديث الأول: **حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّىٰ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ». أخرجه أبو داود، وله شواهد من حديث ابن عباس وغيره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.**

وقال الحافظ رَحِمَهُٱللَّهُ: ومجموعهما يقضي بأنه حديث حسن.

والأحاديث التي في هذا الباب مثل ما أشار المؤلف كلُّها ضعيفة، حديث ابن عباس، وحديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وما جاء في معناهما، كلُّ أسانيدها ضعيفة.

◈ فاختلف أهل العلم: هل يكون مجموعها من باب الحسن لغيره، ويستحب مسح الوجه باليدين بعد الدعاء؟ أم لا تكون من هذا القبيل، فلا

يشرع مسح الوجه؟

◈ وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة الكثيرة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس فيها مسح الوجه باليدين، وإنما فيها الدعاء، وفيها رفع اليدين.

منها: ما ثبت في الصحيح، بل في «الصحيحين» من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستسقاء، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رفع يديه في الدعاء وبالغ، ولم يذكر أحدٌ أنه مسح بهما وجهه، عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ما ثبت في الصحيح عند دعائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الصفا والمروة، وعند الجمرتين، وفي عرفات، وفي مزدلفة.

فلهذا ذهب جمعٌ من أهل العلم إلىٰ عدم شرعية المسح؛ لأن الأحاديث الصحيحة لم يُذكر فيها شيء من ذلك.

قال قوم: بل يستحب؛ لأن هذه الأحاديث التي ذُكر فيها: بجمعِ بعضها إلىٰ بعض، وضمِّ بعضها إلىٰ بعضٍ، واختلاف مخارجها تدل علىٰ أنه كان يفعله في بعض الأحيان، عليه الصلاة والسلام.

ولعلَّ هذا أقرب، فإذا فعل بعض الأحيان فالأمر واسع، والأفضل الترك، أمّا القول بأنه بدعة فهو محلُّ نظرٍ، ليس بظاهر.

ولكن إذا قيل: إن الأولىٰ الترك فهو أقرب؛ لأن الأحاديث الصحيحة ليس فيها شيء من ذلك.

وإذا فعله بعض الأحيان: فأرجو ألا يكون فيه بأس، عملًا بقول من قال: إنها من قبيل الحسن لغيره، بسبب تعدُّدها، واختلاف مخارجها.

◈ **أمّا الأقوىٰ عندي والأقرب عندي**: أن هذا لم يفعله عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لو فعله لنقله رواة الأخبار الصحيحة، ولم يخف عليهم.

❋ ❋ ❋

الحديث الثاني: **حديث ابن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **يقول** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**». اللهم صلِّ عليه وسلِّم، أولىٰ الناس بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثرهم عليه صلاة.

فينبغي للمؤمن الإكثار من الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، عند ذكره، وبعد الأذان والإقامة، وفي يوم الجمعة، وفي التشهد الأول والأخير، وغير ذلك.

فينبغي عمارة الأوقات بذكر الله والصلاة علىٰ نبيِّه، عليه الصلاة والسلام، ولهذا في الحديث يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا علىٰ النبيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **إلا كانت عليهم ترة**»(١). وفي اللفظ الآخر: «**كانت عليهم حسرة يوم القيامة**»(٢). وفي اللفظ الآخر: «**إلا قاموا عن مثل جيفة حمار**»(٣).

◈ **والحاصل**: أنه ينبغي للمؤمن الإكثار من ذكر الله دائمًا، والإكثار من الصلاة والسلام علىٰ رسول الله، عليه الصلاة والسلام، وتتأكد هذه الصلاة في مواضع، بل تجب في مواضع.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٩٥٨٣)، والترمذي في «سننه» (٣٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٢٤٩)، وأحمد في «مسنده» (٩٩٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٠٩).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١٠٦٨٠)، وأبو دواد في «سننه» (٤٨٥٧).

فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ ذلك، ويؤديَها في المواضع التي تجب فيها، كآخر الصلاة، وعند ذكره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وينبغي الإكثار منها في يوم الجمعة، وكذلك الإتيان بها متأكد كلّ التأكيد بعد الأذان وبعد الإقامة، فينبغي للمؤمن أن يكون هكذا يتحرَّىٰ الأوقات التي جاءت فيها التأكيد فيعتني، وفي أول الأوقات يُكثر منها مع ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنف امرئ ذُكِرتُ عنده فلم يصل عليَّ**». وفي اللفظ الآخر: «**ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»[١].

هذا رغم أنف يشعر بالوجوب؛ لأنه دعاء عليه بأنه يلصق أنفه بالرَّغامة وهو التراب، يُشعر بالوجوب.

كذلك أمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به عند الأذان: «**ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ**»[٢]. فهذا يدل علىٰ التأكد، إذا فرغ الأذان وأجاب المؤذن يصلي علىٰ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يقول: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة...**». والإقامة مثله؛ لأنها الأذان الثاني.

وهكذا يوم الجمعة، جاء في الحديث الحثُّ علىٰ الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة، فإنها، تعرض الصلاة عليه، عليه الصلاة والسلام، فينبغي الإكثار من ذلك، «فإن صلاتكم تعرض عليّ»، اللهم صل عليه، قيل: يا رسول الله: كيف تعرض عليك وقد أرمت؟ يعني: بليت، قال: «**إن الله حرم علىٰ الأرض**

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٤) (٧٤٥١)، والبخاري في «الأب المفرد» (٦٤٦)، والترمذي (٣٥٤٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ٢٨٨) (٣٨٤) (١١).

أن تأكل أجساد الأنبياء»[١].

وهكذا يصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر الصلاة بعد ما يأتي بالتشهد.

قالوا: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد**...» إلىٰ آخره.

وذهب جمعٌ من أهل العلم إلىٰ أنها واجبة.

وقال قوم: إنها ركن في التشهد الأخير.

فينبغي العناية بذلك وعدم ترك ذلك، فإن القول بوجوبها أو ركنيَّتها قول قوي، قولٌ له حظُّه من القوة، فلا ينبغي للمؤمن أن يدعها.

أما التشهد الأول: فالأولىٰ فعلها، لعموم الأحاديث؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سألوه: كيف نصلي عليك؟ قال: «**قولوا: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد**»، ولم يقل في الأخير، بل أطلق، «**أما السلام فقد علمتم**».

والسلام يقال في الأول وفي الأخير: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»، وهذا يقتضي أن الصلاة عليه في الموضعين جميعًا في الأخير والأول جميعًا، لكنها في الأخير أشد وآكد، ولهذا ذهب أحمد رَحِمَهُ اللهُ والشافعي إلىٰ وجوبها في التشهد الأخير.

وقال قوم بركنيتها، وهو المذهب عند الحنابلة في ركنيَّتها في التشهد

---

(١) رواه أحمد (٤/٨) (١٦١٦٢)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥).

الأخير.

فهذا يوجب العناية بها، وعدم التفريط فيها.

❁ ❁ ❁


والحديث الثالث: حديث شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «سيد الاستغفار»

يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُك، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْت، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْت، أَبُوءُ لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَك بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». رواه البخاري في «الصحيح».

هذا الحديث يدل علىٰ فضل هذا الدعاء وهذا الذكر، فهو ذكر ودعاء واستغفار، فينبغي الإكثار منه، وتمامه في الصحيح -المؤلف اختصره- تمامه في الصحيح: «**فمن قالها حين يصبح وهو موقن بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها حين يمسي موقن بها ومات من ليلته دخل الجنة**».

فهو حديث عظيم، ولهذا قيل: سيد الاستغفار، يعني: رأس الاستغفار، وأمير الاستغفار، ومقدَّم الاستغفار، هذا الذكر العظيم: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُك، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِك وَوَعْدِك مَا اسْتَطَعْت، أَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَك بِنِعْمَتِك عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي**».

معنىٰ «**أبوء**» يعني: أعترف، يعني: أُقرُّ وأعترف بذنبي، وأني خطَّاء مذنب مقصِّر.

«**وأبوء بنعمتك**» يعني: أعترف وأُقرُّ بنعمتك وإحسانك إليَّ.

وهو توسل إلىٰ الله، بالاعتراف بالذنب، والاعتراف بالنعم والإحسان، فهو معترف بتقصيره وعدم قيامه بشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا هو الدعاء والضراعة إلىٰ الله، مع مشاهدة عيب النفس، ومشاهدة عيب العمل والتقصير في العمل.

فإن في: «**أبوء لك بذنبي**»: عيب النفس، وفي قوله: «أبوء بنعمتك»: الاعتراف بنعم الله وإحسانه، وتقصيرك في ذلك.

فأنت تتوسل إليه بمشاهدتك تقصيرك في شكره، واعترافك بإساءتك وتقصيرك فيما يجب عليك بالكفِّ عن الذنوب، وهذا ينشأ عنه أمران آخران:

وهو الحب لله عَزَّوَجَلَّ، ومشاهدة منَنِه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإحسانه علىٰ العبد.

وأمرٌ ثاني: وهو الشكر لله، فالعبد يشاهد نعم الله وإحسانه إليه، فيبادر بالشكر، ويشاهد تقصيره وعيبه، فيبادر بالاستغفار والرجوع إلىٰ الله، ويجِدُّ في طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فينبغي أن يسير العبد بين مشاهدة المنَّة والإحسان، ومشاهدة عيبه وتقصيره، وعدم قيامه بحق ربه، فيُكسبه ذلك الحبَّ العظيم لربه، والضراعة إليه، واللَّجأ إليه، والمسارعة إلىٰ شكر نعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



والحديث الرابع: حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الدعاء في الصباح والمساء: كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو في الصباح والمساء: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».

وفي رواية كان يقول في أوله: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»، ثم يقول: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي**»[(١)].

هذا دعاء عظيم ينبغي للمؤمن اعتياده صباحًا ومساءً، هذا من الدعوات الطيبة الجامعة.

❁ ❁ ❁

وهكذا حديثه الثاني: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ». يُروى: «فجاءة»، ويُروى: «فجأة».

يستحب له أن يكثر من هذا الدعاء أيضًا: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**».

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٥) (٤٧٨٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وأبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠٣٢٥)، وابن ماجه (٣٨٧١).

وهذا الحديث السادس: «**اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**».

فهذه كلُّها دعواتٌ عظيمةٌ، ينبغي للمؤمن أن يكثر منها، ولا سيما في الصباح والمساء، بل في سائر الأوقات، والله جل وعلا يحبُّ من عباده أن يسألوه، ويخضعوا إليه.

فينبغي له أن يكثر من الدعاء الوارد أكثر من غيره، فإن الدعوات الواردة تكون أجمع وأنفع وأفضل، وإن دعا بدعوات أخرىٰ لم تَرِد لا محظور فيها فلا بأس.

وهو مأمور بالدعاء، ولهذا قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُوَ بِهِ**»[1]. وفي اللفظ الآخر: «**ثمَّ ليتخيّر مِن المَسْألةِ مَا شَاء**»[2]، فالأمر في هذا واسعٌ، والحمد لله.

فإذا دعا بدعوات تناسبه، كأن يقول: اللهم يسر لي كذا وكذا، اللهم يسر لي ذرية صالحة، اللهم هب لي ذرية طيبة، اللهم ارزقني زوجة صالحة، اللهم يسر لي كذا وكذا، من أموره التي يحتاج إليها، في الأمور المباحة فلا بأس، يدعو الإنسان بكل حاجاته، وربُّك سبحانه يحبُّ من يسأله كل حاجاته، والحمد لله.

---

(١) رواه النسائي في «سننه» (١٢٩٨).

(٢) رواه مسلم (٥٥) (٤٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٥٣).

س: لِمَ عفا الله عنك خصَّ الصباح والمساء بالدعاء؟

ج: ظاهرٌ، واضحٌ؛ لأنه استقبال العمل، استقبال العمل في الليل والنهار، فإذا دعا في أوله ما يحفظ عليه دينه كان هذا خيرًا له؛ لأنه عرضة للآفات في الليل والنهار، فيبتدئ ليله بالدعاء والذكر، ويبتدئ نهاره بالدعاء والذكر، لعله يُحفظ في البقية.

س: أحسن الله إليك: سيد الاستغفار ما فيه «أبوء لك بذنبي»؟

ج: ما سمعتَه؟!.

س: بلىٰ، بَسْ مسجَّل عندي، مكتوب عندي هنا «أبوء لك»؟

ج: «أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي...» نعم، فيه هذا وهذا.

س: يزيد بعضهم في سيد الاستغفار في بعض كتب الأذكار هذه: «فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فارحمني فإنك أنت الغفور الرحيم» ؟

ج: ما أعرف هذه الزيادة، المعروف: «فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

س: الأولىٰ عدم هذه الزيادة؟.

ج: حتىٰ ترد، إذا وُجدت، قد يكون خرَّجها غير البخاري، إذا وُجدت صحيحة لا بأس، وإلا الأولىٰ يقتصر علىٰ الوارد، هذا الأفضل، يعني في هذا الحديث، إذا دعا بها في وقت آخر أو في دعاء آخر أو مستقبله فلا بأس، اللهم ارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، هذا دعاء طيِّبٌ، لكن لا يزيدها في الحديث

نفسه، يفصلها.

س: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غير الصيغ الواردة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟.

ج: الأفضل الصيغ الواردة فقط.

٢٣ - وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّك أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ(١).

٢٤ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِك نَمُوتُ، وَإِلَيْك النُّشُورُ». وَإِذَا أَمْسَىٰ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، إِلَا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْك الْمَصِيرُ». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ(٢).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٩) (٢٢٩٥٢)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦١٩)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٩)، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨، ٥٦٩)، وابن ماجه (٣٨٦٨).

٢٥ - وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1].

٢٦ - وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2].

الشَّرْحُ

هذا حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سمع رجلًا يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فقال: «لقد سأل الله باسمه الذي إذا سئل به أعطىٰ وإذا دُعي به أجاب».

---

(١) رواه وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠١)، والبخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٠) (٢٦٩٠) (٢٦)، وأبو داود (١٥١٩)، والترمذي (٣٤٨٧)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٨٦٢).

(٢) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٧) (٢٧١٩) (٧٠).

وهكذا جاء معناه عند النسائي وغيره[١]، أن قائلاً قال: اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد. فقال: «**لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ العَظِيمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

◈هذه التوسلات من أفضل الأسباب في إجابة الدعاء، وهو التوسل إلىٰ الله بصفاته العظيمة، وأسمائه الحسنىٰ، ووحدانيَّته جل وعلا، فذلك من أعظم الأسباب في إجابة الدعاء.

فينبغي للمؤمن أن يتوسل إلىٰ الله بأسمائه وصفاته، وتوحيده الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد**».

كذلك حديث: «**اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم**»[٢].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٢٩٥٢)، وأبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٠) (١٢٢٠٥)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٢٢٤)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، ولفظ النسائي:عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا، يَعْنِي: وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ: فِي دُعَائِهِ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجِلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «**تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ**».

◈ فالتوسل إلىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتوحيده والإخلاص له، وأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العلا، ممَّا يحبُّه جل وعلا، وممَّا يجيب عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

◈ هكذا ينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ أسباب الإجابة فيما يتعلق بالأسماء والصفات، وفيما يتعلق بالأوقات المناسبة، كآخر الليل، وجوف الليل، وبين الآذان والإقامة، وآخر الصلاة قبل السلام، كلُّ هذا من أسباب الإجابة من جهة الزمان.

كذلك من جهة الإقبال علىٰ الله بالقلب، يُقبل علىٰ الله بقلبه، ويجمع قلبَه علىٰ الله، خاضعًا منكسرًا بين يدي ربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يؤمن بأنه هو المجيب للدعاء، وهو الغني الحميد، وهو القادر علىٰ كل شيء، كلُّ هذا من أسباب الإجابة.

وهكذا إذا كان علىٰ طهارة كان ذلك أيضًا من أسباب الإجابة.

◈ فينبغي للمؤمن أن يتحرَّىٰ أسباب الإجابة، ويأخذ بها، ولا سيما في الطلبات المهمَّة التي يحتاجها العبد، ما يتعلق بسلامة دينه وصلاح قلبه، ونجاته في الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

الحديث الثاني: **كذلك حديث أبي هريرة كان يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِك نَمُوتُ، وَإِلَيْك النُّشُورُ»، وإذا أمسىٰ قال مثل ذلك، لكن يقول: «وإليَكَ المَصِير».**

فيستحب للمؤمن في الصباح أن يقول: «**اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور**».

النشور هنا يناسب الصباح؛ لأنه موضع النشور في العمل وطلب الرزق،

وكلُّ شيءٍ بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فبه الصباح، وبه المساء، وبه المحيا، وبه الممات، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو المصرِّف لعباده «وبه» وبيده حياتهم وموتهم.

◈ ويقول في المساء مثل ذلك، لكن يبدأ بالمساء، يقول: «**اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير**».

◈ ففي الصباح يقول: «**اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا**»، وفي آخره يقول: «**وإليك النشور**»، وفي المساء يبدأ بالمساء فيقول: «**اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير**».

لأن الإنسان يأوي في الليل إلىٰ فراشه وإلىٰ أهله، فهذا فيه إشارة إلىٰ مصير الناس إليه يوم القيامة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكما يصيرون إلىٰ النوم فيبيتون ويرتاحون، فالمصير إليه يوم القيامة، ليجازيهم بأعمالهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وهكذا حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أكثر دعاء النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

هذا دعاء عظيم، ومن جوامع الدعاء، يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان أكثر دعاء النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الدعاء: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

«**الحسنة في الدنيا**»: ما ينفعه في الدنيا، وأعظما حسنة الإسلام، حسنة التوحيد والإيمان والهدىٰ، ثم ما ينفعه في الدنيا من ولد صالح، وزوجة صالحة، ورزق حلال، كلُّه داخل في حسنات الدنيا.

«**وفي الآخرة حسنة**»: أعظمها دخول الجنة والنجاة من النار، مع ما يحصل له من التيسير والتخفيف عند البعث والنشور، وفي موقف القيامة إلىٰ غير ذلك.

«**وقنا عذاب النار**»: هذا تمام الحسنة في الآخرة، أن يقيه الله عذاب النار، وأن يفوز بالجنة من أول وهلة.

❋ ❋ ❋

والرابع: فهذا حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم اغفر لي خطيئتي».

أبو موسىٰ هو: عبد الله بن قيس الأشعري اليماني، الصحابي الجليل المشهور، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، وكان من أفاضل الصحابة وعلمائهم وخيارهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرَتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ**

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

هذا فيه التواضع العظيم منه ﷺ، والانكسار بين يدي الله، مع أنه مغفور له عليه الصلاة والسلام، ومع هذا يدعو بهذه الدعوات: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

مع أنه قد أعطاه ذلك، ووعده الجنة، وغفر له ذنبه، لكنه يحبُّ أن يكون عبدًا شكورًا عليه الصلاة والسلام، فيكثر من الدعاء يعلِّم أمته، يعلِّم أمته هذا الدعاء، ويقوله انكسارًا بين يدي الله، وضراعة بين يديه، وإظهارًا للعبودية من هذا النبيِّ العظيم، عليه الصلاة والسلام.

فأنت يا عبد الله أولىٰ بهذا، وأنت لست ممن شُهد له بالجنة، وأنت الخطَّاء، وأنت أيضًا علىٰ خطر عظيم في المستقبل، فأنت جدير بأن تُعنىٰ بهذا الدعاء: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، كما تقدَّم، وبهذا الدعاء الأخير: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي**».

هذا التواضع العظيم: «**كل ذلك عندي**»، هكذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم...**» هذه من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ «أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت علىٰ كل شيء قدير».

وعند مسلم من حديث عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت**

المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[١]. جاء في رواية مسلم أنه كان ربَّما قاله قبل السلام من الصلاة، وربَّما قاله بعد السلام.

هذا كلُّه دليل علىٰ انكساره بين يدي الله، وتواضعه عليه الصلاة والسلام، واعترافه بالعبودية، والذلُّ بين يدي ربِّه جل وعلا، وأنه محلُّ الخطأ، ومحلُّ الذنوب، فيطلب ربَّه المغفرة والعفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولهذا قال في سورة الفتح: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]، وقد غفر له ذنبه وعفا عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأعطاه الجنة، ووعده ذلك، وأعانه علىٰ كل خير، عليه الصلاة والسلام، وجعله عبدًا شكورًا، عليه الصلاة والسلام.

فهكذا أنت يا عبد الله: عليك أن تتأسَّ بهذا النبيِّ الكريم، وأن تسير علىٰ نهجه في الانكسار بين يدي الله، والضراعة بين يديه، والاعتراف بذنبك وتقصيرك، وسؤال الله المغفرة والعفو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فأنت في أشدِّ الحاجة إلىٰ هذا، بل في أشدِّ الضرورة إلىٰ هذا الدعاء، وإلىٰ المغفرة من الله عَزَّوَجَلَّ، والعفو منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«جِدِّي وهزلي»: الجِد ضدُّ الهزل، الجِدُّ يقوله جادًّا، والهازل ضد ذلك، ما يقول مزحًا لأصحابه عليه الصلاة والسلام، قد يمزح معهم، ولا يقول إلا حقًّا، عليه الصلاة والسلام.



(١) رواه مسلم (١/ ٥٣٤) (٧٧١) (٢٠١).

س: **«ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَد»**[١]؟

ج: هذا شيءٌ آخر: «**ذا الجَد منك الجَد**» يعني: الحظ والغنىٰ. لا ينفع ذا الجد منك الجد يعني: الغنىٰ والحظ، أما هنا فضدُّ الهزل، الجِّدُّ بكسر الجيم.

س: **ما هو الجَد هنا ذكر الجَد؟**

ج: الجِدُّ بالكسر، جِدِّي وهزلي.

س: **بعد التسليم قال رجل: أول شيء يذكر الله ويوحده، وبعدين يسأل ما شاء كالاستغفار وغيره؟**

ج: الدعاء بعد الذكر يبدأ بالذكر، أولًا يبدأ بالاستغفار ثلاثًا، ثم يقول: اللهم أنت السلام، ثم يقول: لا إله إلا الله. ثم يدعو بما أحبَّ بعد ذلك، بينه وبين ربِّه.

س: **الاستغفار قبل ذكر الله؟**

ج: هو أوَّل ما يسلِّم يستغفر ثلاثا، ويقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[٢]، ثم ينصرف إلىٰ الناس إذا كان إمامًا يعطيهم وجهه، ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**»[٣].

(١) رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (١/ ٣٤٣) (٧٤١) (١٩٤).

(٢) رواه مسلم (١٣٥) (٥٩١).

(٣) رواه البخاري (٨٤٤).

ثم إذا دعا بعد هذا، ثم يأتي بالتسبيح والتحميد والتكبير ثلاثة وثلاثين مرَّة.

س: أحسن الله إليك يا شيخ: رفع اليدين حين الدعاء، هل له حدٌّ معيَّن أم أنه كلَّما رفع يديه أكثر فالمسألة، يعني: أحسن، الإنسان يدعو رافع يديه ما في حديث أنه...؟

ج: ما أعلم فيه حدًّا، إلىٰ المنكبين أو الأذنين النهاية، هذا هو، النهاية: الأذن والأدنىٰ: المنكب.

س: في حديث أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا لأحد الصحابة فقال له: ارفع يدك يا رسول الله؟

ج: أكثر ما رفع في صلاة الاستسقاء عليه الصلاة والسلام.

س: الأحاديث التي فيها حين يصبح وحين يمسي، هل لها يعني: الإصباح والإمساء له حدٌّ، أول ما يصبح أو مثلًا بعد صلاة الفجر؟

ج: ما تيسر، ما تيسر، بعد الصبح وبعد صلاة الفجر وبعد طلوع الشمس كلُّه صباح إلىٰ الزوال، إلىٰ أن تزول الشمس كلُّه صباح.



٢٧ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(١).

٢٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ(٢).

٢٩ - وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ(٣).

٣٠ - وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِك مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٧٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٧) (٢٧٢٠) (٧١).

(٢) رواه النسائي في «الكبرىٰ»(٧٨١٩)، والحاكم (١/ ٥١٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣).

قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَه لِي خَيْرًا». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ[1].

٣١ - وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[2].

فرغ منه مُلَخِّصِه أحمدُ بن علي بن محمد بن حجر، في حادي عشر شهر ربيع الأول في سنة ثمانٍ وعشرين وثمانمائة، حامدًا الله تعالىٰ، ومصليًّا علىٰ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكرِّمًا ومبجِّلًا ومعظِّمًا



الشَّرْح

الشيخ: الرواية عندك: «إليها»، ولَّا: «فيها»؟

القارئ: «إليها» عندي، «وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي».

الشيخ: لعلَّها رواية، الذي أعرفه رواية مسلم: «فيها».

هذه الأحاديث الأربعة كلها تتعلق بالدعاء والثناء، وتقدم أن الباب باب

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٢) (٢٦٩٤) (٣١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، وابن حبان (٨٦٩)، والحاكم (١/ ٥٢١ - ٥٢٢).

الذكر والدعاء، ومن الدعاء هذا الحديث الصحيح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم أَصلِح لِي ديني الَّذِي هُو عِصْمة أَمْري، وأصلح لِي دنياي الَّتِي فيها مَعاشي، وَأصلِح لِي آخرتي التِي إليها معادي، واجعل الحَياة زيادَة لي في كلِّ خير، وَاجعَل الموت راحة لِي من كل شرّ**». هذا الدعاء من أجمع الدعاء، ومن أهم الدعاء، وأنفع الدعاء، كان النبي يدعو به عليه الصلاة والسلام.

فينبغي للمؤمن والمؤمنة الإكثار من هذا الدعاء لما فيه من جماع الخير؛ لأنه دعاء جامع قال: «**اللهمَّ أَصلحْ لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وَأصلِح لِي آخرتي التِي إليها معادي، واجعل الحَياة زيادَة لي في كلِّ خير، وَاجعَل الموت راحة لِي من كل شرٍّ**».

فهو دعاء جامع للخير كله، فينبغي للعبد أن يلح في ذلك، وأن يتحرىٰ في ذلك أوقات الإجابة، مع الإخلاص لله والصدق في دعائه، والرغبة فيما عند الله والإقبال عليه؛ فإن هذا أحرىٰ بالإجابة.

وهكذا حديث أبىٰ هريرة أيضًا: «**اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علمًا ينفعني، وزدني علمًا، والحمد الله علىٰ كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار**»، دعوات عظيمة طيبة ينبغي للمؤمن أن يكثر منها.

وهكذا كل الدعاء الذي ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينبغي الإكثار منه أكثر من غيره، وإن كان الدعاء بابه واسع والحمد الله، فالإنسان له أن يدعو

بشيء لم يُنقل في حاجاته، ويسأل الله حاجاته كلها لا بأس بذلك، ولكن تحريه الدعوات المنقولة والمأثورة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون ذلك أفضل وأجمع، وإذا دعا بدعوات اختارها لنفسه في حاجاته فلا بأس عليه ولا حرج؛ لأن الله قال ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾[البقرة:١٨٦].

والنبي عليه الصلاة والسلام قال في حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما علمه التشهد قال: «**ثم ليتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو**»[١]. وفي اللفظ الآخر: «**ثم ليختر من المسألة ما شاء**»[٢]؛ فدل ذلك علىٰ أن الإنسان مخير يدعو بما تدعو له الحاجة، كأن يكون محتاجًا للذرية فيسأل الله الذرية الطيبة، محتاجًا للرزق فيسأل الله الرزق الحلال، محتاجًا لزوجة صالحة يسأل الله زوجة صالحة، محتاجًا إلىٰ دار مناسبة يسأل الله يسهل له دارًا مناسبة، إلىٰ غير ذلك من حاجات الناس، فله أن يدعو بما تدعو له الحاجة من الدعوات التي ليس فيها محظور شرعًا.

ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «**ما من عبد يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدىٰ ثلاث: إما أن تعجَّل له دعوته في الدنيا، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من الشر مثل ذلك**». قالوا: يا رسول الله إذًا نكثر. قال: «**الله أكثر**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٣].

(١) رواه النسائي في «سننه» (١٢٩٨).

(٢) رواه مسلم (٥٥) (٤٠٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٦٥٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٧٣)، وقال: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

هكذا حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمها أن تقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِك مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَه لِي خَيْرًا».

◈ فهذه دعوات عظيمة جامعة، فينبغي الإكثار منها، فهي دعوة عظيمة جامعة للخير كله، خير الدنيا والآخرة.

◈ ثم ختم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه بهذا الحديث العظيم الذي ختم به الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ «صحيحه» وهو ما رواه الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**». فينبغي للمؤمن أن يكثر من هاتين الجملتين: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**». فهما كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: «**سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وهكذا ما ثبت في الحديث السابق حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي عليه السلام قال: «**أحب الكلام إلىٰ الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»[1].

(١) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ١٠)، ومسلم (٣/ ١٦٨٥) (٢١٣٧) (١٢)، والنسائي=

وهكذا الحديث الآخر: «**الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله**»[(١)]. كل هذه أذكار عظيمة، ولها الفائدة العظيمة في قلب العبد، وفيما يكتب الله له من الأجر.

وكذلك قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربع أنفس من ولد إسماعيل**»[(٢)]. وفي الحديث الآخر «**من قالها مائة مرة في يوم كانت له عدل عشر رقاب، وكتب الله له مائة حسنة، ومحىٰ منه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان في يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجلًا عمل أكثر من عمله**»[(٣)].

◈ فينبغي للمؤمن الإكثار من هذه الأذكار العظيمة، والدعوات العظيمة؛ يرجو ما عند الله ويحسن به الظن سبحانه، ويخلص له في الدعاء، ويتحرىٰ أوقات الإجابة، ويتحرىٰ أيضًا خشوع قلبه وحضور قلبه.

رزق الله الجميع التوفيق والهداية، وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه.

= في «الكبرىٰ»(١٠٦١٤)، وابن ماجه (٣٨١١).

(١) رواه أحمد (٣/ ٧٥)، والنسائي في «الكبرىٰ»(١٠٦١٧)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢-٥١٣).

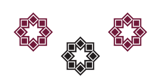
(٢) رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٢٢)، والبخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩٣) (٣٠)، والترمذي (٣٥٥٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩٨٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧١) (٢٦٩١) (٢٨).

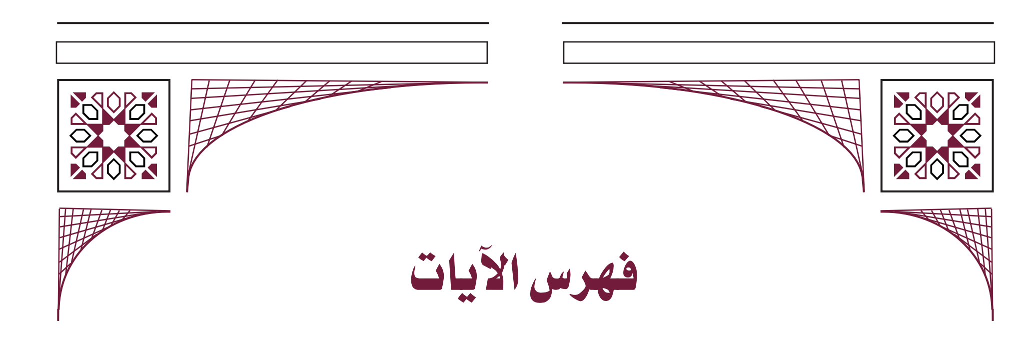
س: أحسن الله إليك: ما معنىٰ يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؟

ج: يعني الدعوة ليس فيها إثم، ليس فيها معصية، وليس فيها دعوة علىٰ من لا يستحق قطيعة رحم، فإذا كان فيها إثم كأن يتوسل بما لا يجوز: بحق فلان، أو بحق فلان، أو يسأل الله أن يعينه علىٰ الزنا بفلانة، أو شرب الخمر، أو بالغيبة لفلان، أو كذا، هذه يكون كلها فيها إثم، أو قطيعة رحم، يسأل الله أن يعينه علىٰ عقوق أمه، أو علىٰ قطيعة أقاربه وإخوانه، هذه فيها قطيعة رحم، هذه دعوات باطلة.

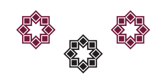
ومن رحمة الله أنه لا يجيبه إليها، من رحمته سبحانه أنه لا يجيبه إليها؛ لأنه آثم في ذلك، عاصٍ في ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. نسأل الله السلامة والعافية.

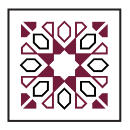
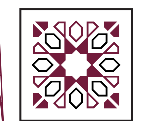


الفهارس العلمية

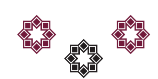


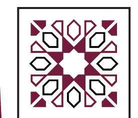
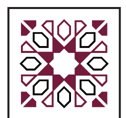
فهرس الآيات



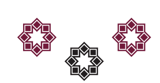



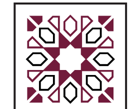
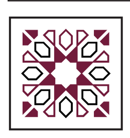
فهرس الأحاديث النبوية



لطائف وفوائد منتقاة
من (شرح كتاب الجامع من بلوغ المرام)
للإمام العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز



فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

٢-باب البر والصلة

٣-باب الزهد والورع

٤- باب الترهيب من مساوئ الأخلاق

٥-باب الترغيب في مكارم الأخلاق

٦-بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ

